ممارسة الحُب عبر الكتابة

أشرف نبوي

الكتاب : ممارسة الحب عبر الكتابة

المؤلف : أشرف نبوي

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٧

رقم الإيداع : ٢٣٦٩٧ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي : 2 - 263 - 493 - 977 - 978 : I.S.B.N

الناشر

شمس للنشر و الإعلام

٢٧ ش الثلاثين. برج الشانزليزيه. زهراء المعادي. القاهرة

ت فاكس : ٢٧٢٢٣٨٠٠٤ (٠٢) ، ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥ (٠٢)

www.shams-group.net

تصميم الغلاف : ياسمين عكاشة



ممارسة الحُب عبر الكتابة

أشرف نبوي

إلى حرائر الوطن

اللواتي بذلن أرواحهن وأنفسهن فداء للوطن

مقدمة

تعبت أحرفي من اللهاث وراء الأحداث الجارية وعنف المرحلة التي تمر بها منطقتنا ؛ فآثرت أن أنزوي لآخذ استراحة محارب ، لعلي أستطيع بعدها مواصلة نضالي من أجل الحق والحرية والعدالة فيما تبقَّى لي من عُمر.

وكُلِّي أملٌ أن ينفعني الله بما سطرت هنا من كلمات ، هي خلاصة خبرة عشرات السنوات التي عشتها وعايشتها ، وأنا لا أدري لعل كتابي هذا والذي يحمل الرقم (أحد عشر) في مجموع إصداراتي يكون الأخير قبل أن أنتقل من هذه الدار إلى الدار الآخرة ، لذا أردت أن يكون عملاً يُنتفع به.. وأرجو من الله أن ينفعنا بما كتبنا ، وأن يجعله في موازين حسناتنا.

ممارسة الحُب عبر الكتابة

البعض حين يكتب يسطر جزءاَ من ذاته عبر أحرفه، والبعض يعيش بداخل حرفه أو يقتطع الحرف من تراكمات لحظاته التي يعيشها، فيضفِّر الحلم بالحقيقة، والواقع المعاش بالأمل الذي يسكنه، وفي المجمل فإن صدق الكلمات يسطع أو يخبو بريقه بقدر ما نُسقط عليها من ذواتنا التي تعايش الكتابة، كحالة من حالات الإبداع الفكري الممتع للقارئ والكاتب على السواء، وهذا يحدث سواء في الكتابة الإبداعية أو الصحفية، التي ما عادت تكتفي بنقل الخبر أو التعليق عليه، بل باتت لها مدارسها في التحليل والنقد وممارسه الإبداع عبر الكتابة الصحفية، بما يميِز قلم عن آخر... لكن في خضم كل هذا تظهر معضلة؛ ربما يستشعرها كل من مارس الكتابة وتأصلت فيه تلك العادة الإبداعية، هذه المعضلة مثل دبيب النمل قد لا تظهر بصورة جلية واضحة ولكنها موجودة وعميقة التأثير، إنها عادة ممارسة الحب عبر الكتابة، وأنا هنا لا أقصد المعنى الحرفي أو الظاهري، فجميعنا ممكن أن ينثر حبه عبر أحرفه؛ سواء تعبيراَ عن حالته المزاجية ومشاعره، أو عبر دعوته للحب بشتى صوره في كتاباته وإبداعاته.

أما ما أقصده هنا فهو حب الاكتفاء أو الاكتفاء بالتعبير عن

الحب عبر الكتابة، ومعايشة هذا كواقع افتراضي موازي يعزل صاحبه عن معايشة الحب الحقيقي، ويكتفي بخياله الموازي ومشاعره التي يشعر بحرية أكبر في التعبير عنها عبر كتابته، ورويدًا رويدًا يكتفي في النهاية من الحياة بهذا القدر من التعبير والمعايشة عبر الحرف، فتتجمد مشاعره، ويصاب بتيبس الأحاسيس، وانقطاع وضمور علاقاته الاجتماعية.

وكي أقرِّب المنظور أكثر وأزيد من الإيضاح؛ فإن كثير ممن يعانون من هذه الحالة يكتفون بالحد الأدنى من إظهار مشاعرهم تجاه الآخر، فنرى زوج لم يُقبِّل زوجته فوق جبينها أو وجنتيها أو يضمها برقة منذ أكثر من عام، ونرى أم لم تربت على كتف ابنتها أو تحتضنها شهور، وليست المشكلة مشكلة وقت أو ظروف حياتية فرضت هذا التباعد، لأن تلك المشاعر والتعبير عنها قد لا يحتاج إلا للحظات، لكننا ننسى أو نتناسى حاجة المحيطين للشعور بدفء قلوبنا عبر التعبير عن مشاعرنا بصورة عملية.

قد تأخذنا الحماسة عبر معايشة الحب ونثر المشاعر عبر الأحرف إلى جُزر نائية، وتعزلنا بصورة أو بأخرى عن معايشة واقعنا المعاش، وتنثر نتف البرد فوق روابط الحب التي تربطنا بمحيطنا، لكن يجب علينا جميعًا أن نتوقف للحظة وننفض هذا التجمد وهذه الانعزالية، لنتواصل بدفء مشاعرنا ونعبِّر عنها للمحيطين بنا، لنعيد نثر عبق المشاعر الفياضة التي من

خلالها نشعر بحلاوة الحياة، وتزداد رغبتنا في الاستمتاع بها عبر تفاعلنا مع الآخر، وليس عبر انزوائنا في ركن الأنا الذي يصيبنا بعد فترة بالبرود والجمود، ويسوقنا إلى غياهب الاكتئاب الذي بات ظاهرة قوية تستولي على قلوب الكثيرين وعقولهم، وتحولهم إلى كائنات غاضبة ناقمة على نفسها وعلى من حولها.

وقد كان لنا في السيرة العطرة لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أكبر أسوة، حين ذكر له أحد جلسائه حُبه لرجل مرّ بهم، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم إن كان قد أخبره عن حبه له في الله، فلما أجابه الرجل بالنفي، قال اذهب فأخبره فإن هذا أفضل لدوام المودة وانتشارها وزيادتها بين الناس.

فالواجب علينا جميعًا أن نظهر حبنا لذوينا ولأصدقائنا ولكل من لنا به علاقة أو لدينا مشاعر تجاهه، وأن نصَرح بتلك المشاعر ونفعلها، وألا نكتفي بسطر مشاعرنا عبر الحرف أو كتمها في قلوبنا، لأن هذا أدعى لوأدها والقضاء عليها ولو بعد حين، أما إظهارها ومعايشتها فإنه ينميها ويزيد من أثرها، بل إنه يساعدنا على سطر المحبة والحب أكثر وأكثر وتنوع سُبل التعبير عنه، مما يجعلنا أكثر قدرة ومقدرة على نثر الحب وبذر بذور المحبة في المجتمع، ويعزِّز من قدرتنا على ممارسة الحب والتعبير عنه بصورة محسوسة وموجهة لجميع من حولنا، وليس عبر الحرف وحسب بل وعلى المستوى الإنساني أيضًا.

رقة وحنان وشقاوة

بعدما تعب قلبي من الكتابة عن أوضاع الأمة وجدتني كالمحارب القديم الذي يريد أن يستريح ولو لبرهة ، فأغلقت كل محطات الأخبار التي تتوالى لدي عبر الفضائيات المختلفة ، وشرعت في البحث عن أي مشهد يكسر حلقة السأم من مشاهدة قنوات تبث مظاهر الظلم الذي يمارسه بعض ساستنا عن جهل أو عن عمد ، وهم يتوهمون بإرجاع عقارب الساعة إلى الوراء من جديد ، وأنا أعذرهم كونهم قفزوا على السلطة دون أدنى مؤهلات علمية أو شخصية ، من التي يستلزمها وجودهم في سدة الحكم.

بدأتُ البحث عن شيء يزرع ولو طيف ابتسامة فوق شفاهي، لكني صدمت بكم الإسفاف والانحطاط الخلقي الذي بات صنو لأي عمل كوميدي ، وكأنهم لا يستطيعون إضحاكنا إلا إذا دنسوا براءة ضحكتنا بعبثهم وانحطاط أفكارهم التي لا ترى سوى عري المناظر والكلمات ، فقفلت أقلب في شتى المحطات علي أجد ما يرفه عن نفسي بعيدًا عن مناظر إراقة الدماء التي باتت عنوان الشاشات في خضم انبلاج فجر الربيع العربي.

وقد تابعت عن طريق الصدفة عدة مقاطع من أفلام عربية

وعالمية صادف أنها جميعًا رومانسية خالصة ، ومما لفت نظري هو دور الأنثى في كل تلك الأفلام ، والذي كان خليط رائع بين الرقة والحنان والشقاوة (بمفهومها المصري أي خفة الظل والروح) (وليس بمعناها اللغوي الذي يعني والعياذ بالله الشقاء في الدنيا والآخرة) ، هذا الخليط الذي قلما نجده في الواقع يبرع المؤلفون الحالمون بالمدينة الفاضلة في تصويره ، فنجد الرجل والمرأة والعلاقة بينهما في تلك الأفلام كما نحلم ونريد ، ولعل بعض علماء النفس يرجعون تعلق الناس بفن السينما لهذا السبب ، فالجميع يتمنى أن يعيش ولو لساعات في هذا الحلم الرائع متخيلاً نفسه بنبل البطل وقوته وشهامته، أو برقة وحنان وخفة دم البطلة.

ولا أدري سبب لعدم تصرفنا جميعًا بهذا الشكل في الواقع، أو لعلي أدري ولا أريد أن أفصح كحالنا جميعًا ، فدومًا هؤلاء الأبطال في الأفلام لا تقد مضاجعهم منغصات الحياة التي نعيشها ، بل يركز كُتاب تلك الأفلام على خصوصية العلاقة ، متناسين ما يحيط بها من تشابك بشتى مناحي الحياة ، لذا تظهر العلاقة ولا يشوبها سوى ما يجعلها قادرة على الاستمرار والوقوف بوجه كل المصاعب ، عكس ما يحدث في الحياة الواقعية.

أعود لحالة الهيام التي جعلتني أعيش بعض المشاهد ولو في خيالي، وأنا أتمنى لو أن تلك الأنثى الخاصة جدًا بمواصفاتها من الرقة والدفء والمرح هي أنثاي الحقيقية ، والتي يشعر شريكها بأنه يعيش الحلم بكل تفاصيله ، وتماديت في حلمي وأنا أتخيل لو وجدتها أمامي الآن فماذا سيكون تصرفي، وكيف سيكون لقائنا وحديثنا، فقادني هذا إلى استنتاج مؤلم خطر لي على هيئة سؤال منطقي؛ ألا وهو وهل أنا حققت الشق الآخر من المعادلة ، بمعنى أدق هل أنا تتوافر في نفسي كل أخلاق الشهامة والنبل والقوة التي من المفترض أن تقابل سمو من أخالها شريكة لحياتي الخيالية؟.

عندها توقفت الأفكار عن انسيابها بخاطري، وصدمني الواقع بقسوته وشراسة عقلانيته ، فمددت يدي لأحول القناة وأعود إلى هم السياسة من جديد، علي أجد فيها ما يلهيني عن حزني الشخصي على حالي ، فالحزن الذي تخلفه المشاهد التي تتناثر فيها دماء إخواننا في كل بقاع الأمة من المحيط إلى الخليج ؛ يطغى على إحساسنا بأي حزن أو هم سواه ، أو لعلنا أدمنا الحزن من طول مكوثه طوال عقود ببلادنا، فلم يعد من سبيل لفراقه أو النجاة من حبائله، استفسار لم أجد إجابة بقلبي له، فقط يعيدني هذا إلى مقولة الشاعر الكبير: تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد.

جوز الاتنين

في الموروث الثقافي الشعبي المصري هناك الكثير من الأمثلة وهي سمة كل الشعوب تقريباَ ، لكن ربما ما يميز الموروث الثقافي الشعبي في مصر هو أن هناك من الأمثال الكثير الذي يضاد بعضه البعض ، فمثلاً يقولون (النار متحرقش مؤمن) وهذا حين ينجي الله إنسان من مصيبة، ثم يعودون ليقولوا في موقف آخر حين يصاب نفس الشخص أو تلحقه مصيبة (المؤمن مصاب)، وهكذا لو تابعت الأمثال ستجد أن لكل مثل هناك ما يضاده وينفيه.

كانت تلك مقدمة أردت من خلالها إثبات حالة، أما ما يعنيني هنا فهو مثل ساخر متداول بكثرة وله في بعض البلدان العربية مقابل؛ ألا وهو (جوز الاتنين يا قادر يا فاجر)، وهم يعنون إما إنه قادر بمعنى غني ولديه الكثير ليستطيع أن يسكت زوجتيه بهداياه ومنحه ، أو إنه فاجر ويقصد بها إنه شديد المراس ، يستطيع أن يلجم كلتا الزوجتين ويوقفهما عند حدود يرسمها بنفسه، وذلك ليستطيع أن يوفق بينهما ويعيش بسعادة.

ورغم سخرية هذا المثل وما يحمله من فكاهة في تركيزه واختصاره وأيضًا مع وجود أمثلة معارضة له ، إلا أن الكثير

يحملونه في عقولهم وقلوبهم وكأنه سفر من أسفار الكتاب المقدس، ويؤمن به الكثير معتبرين أنه حقيقه واقعة لا تحتمل الجدال، وعليه فإنهم بقناعتهم تلك؛ وحيث أن الكثير منهم (لا قادر ولا فاجر) يؤثرون السلامة ويبتعدون، مطبقين على أنفسهم المثل بحذافيره.

وقد صادفت الكثير ممن يمثل لهم موضوع الزواج الثاني تابو، وخط أحمر لا يجوز الاقتراب منه، بل ولا يحق لأحد أن يناقشه أو يحاول فك طلاسمه، بل المفروض أن يؤخذ هذا الموضوع على علاته، وحين حاولت أن أفهم، امتنع البعض عن الخوض في النقاش، ربما خوفًا من زوجاتهم وإيثارًا للسلامة، أو لترسخ مبادئ تم تسويقها عبر سنين طويلة من خلال الإعلام، أثرت في تفكيرهم وجعلته أحادي التوجه، وربما لقناعتهم بأن الزواج من واحدة مصيبة فما بال من يفكر في زيادة مصائبه، كما قال لي أحدهم، أو أن الزواج الثاني سيجعله يخسر الأول فما الداعي لهذا، وفي النهايه لم أصل لشيء.

وأنا قد أفهم رفض النساء لتلك الفكرة، لما جبلن عليه من الغيرة، وهذا حق مشروع لهن، وتلك الغيرة حميدة إذا تمت في إطار شرعي معتدل ولم تتجاوزه، لكن إذا خرجت عن هذا الإطار الشرعي وتجاوزته فإنها تدخل في مناطق أخرى محرمة أقلها النشوذ، وأنا لست مع من يدعين أن الزواج الثاني يجب

أن يكون له أسباب، لأن هذا لم يرد إلينا شرعًا ولم يضع أصلاً أي شرط كي يسمح بالتعدد، بل إن الكثير من العلماء يرى أن الأصل في الزواج هو التعدد طبقًا لما ورد بالقرآن، والاستثناء في حالة عدم القدرة على إقامة العدل وفقط، وهو عدل بينته السنة فيما يتعلق بالإنفاق والمبيت، أما المشاعر فهي ليست ملك للإنسان، وهي قابلة للتغير والميل بقدر ما تقدمه إحداهن من حب ومشاعر.

وقد كتبت قبلاً مقال بعنوان التعدد بين الموروث الثقافي وإلحاح الحال، وبينت أن حال الأمة الآن يستوجب أن نقتنع جميعًا أن الحل الرباني الذي أوجده الشارع الحكيم فيما يتعلق بموضوع التعدد هو الحل الأمثل والأصدق لكثير من مشاكلنا التي طفت على السطح، وبدأت تؤثر بشكل مباشر في الكثير من مناحي حياتنا، وأنا لا أدعو هنا لاستخدام هذا الحق بإفراط ونهم من قبل الرجال لإرضاء شهواتهم أو التمتع بالنساء، بل على العكس تمامًا أنا أدعو لهذا كي يتحمل الرجال نصيبهم من المسؤولية التي من أجلها نعتوا بالقوامة، فليس من المعقول أن تزداد نسب أطفال الشوارع والعوانس والمطلقات بتلك النسب الكبيرة ونقف مكتوفي الأيدي ولا نبحث عن حل.

وقبل أن يسألني أحد وكيف سيحد هذا التعدد من تلك المشكلات، أجيب أنا؛ فأطفال الشوارع إما لوالدين افترقا، أو لأم عجزت عن توفير سبل العيش بعدما توفي زوجها، وهنا نجد أنه في الحالة الأولى غالبًا ما يكون الفراق والطلاق بسبب قناعة الزوجة أنها لا تقبل مشاركة أخرى في زوجها (دون مانع ديني)، لذا يحدث الطلاق، ومن ثم تتفاقم مشاكل ما بعد الطلاق التي تطال الأبناء، وحتى أكون منصفًا قد يكون الطلاق بسبب مشاكل أخرى أو لعدم التوافق بين الزوجين، وهنا لا يجب أن تتوقف الحياة، بل من حق تلك الزوجة وحق أبنائها أن يجدوا رجل آخر حتى ولو كان متزوج يرعاهم وينفق عليهم ويشرف على تربيتهم.

أما في الحالة الثانية - وفاة العائل- فإن الزوجة غالبًا تعجز عن مجاراة مشاق الحياة والقيام بالدورين معًا الأب والأم فإما أن تعمل وتترك التربية في البيت فتتفلت أخلاق الأبناء والبنات، أو تبقى حبيسة البيت ولا تقدر على مواصلة الحياة بمعاش ضئيل، فيتجه الأبناء إلى الشوارع للعمل أو الانحراف، وتبقى إحصاءات منظمة الأمم المتحدة خير شاهد على ما أقول.

إذن نحن أمام حالة تتفاقم آثارها السلبية يوم بعد يوم، ونحن نقف عاجزين، لا نحاول تغيير المفهوم بما يتلائم وظروفنا الآنية، بل إننا ومن خلال إعلام سيء نقدم أفكار

باهتة وحقائق مشوهة، بلا غوص في أسباب المشكلة ومحاولة تقديم نموذج مضيء ، والإلحاح على تغيير صورة شرعية شوهت عن قصد من قبل الإعلام في فترات سابقة أصرت على تجريم بل واقتربت من تحريم التعدد بلا سبب، رغم أن هذا كما قلت لم يرد في أي نص يتعلق بالدين، (أعني وجود سبب مثل أن تكون الزوجة عاقرًا لا تنجب أو مريضة إلخ).

لذا وجب علينا جميعًا من كتاب ومثقفين ودعاة؛ بل وجميع أفراد المجتمع ، أن ننتبه ونصحح بعض أخطائنا من خلال مشاهداتنا وخبراتنا الحياتية، ونحقق مبدأ التكافل الاجتماعي فيما بيننا، من خلال صيغة التعدد، وكما قلت يكفي أن يتقبل الأفراد فكرة أن يكون لدى القادر من الرجال حق الزواج الثاني دون أن ينظر إليه على أنه متعدي، بل ينظر إليه نظرة تقدير حيث أنه شارك بالتخفيف من آثار وقع مشكلات ترزخ تحت وطئتها الكثير من الأسر.

وأعتقد أن شيوع تلك الفكرة وعدم استهجانها كما يحدث الآن سيقضي على الكثير من المشاكل ويخفف من وقوع الجرائم خاصة الأخلاقية منها، فجرائم أبناء الشوارع لن تحلها ملاجئ أو تمنعها تشريعات وقوانين ، ومعدلات الانفلات الأخلاقي والسلوكي وارتفاع نسب قضايا البغاء والإتجار بالجسد؛ أعتقد أنها ستقل كثيراً إن لم تتلاشَ بعدما يصبح من حق أي سيدة أن

تجد لنفسها كنف رجل شريف يصونها ، دون أن تتهم أنها استولت على زوج غيرها، وحصلت على غير حقها.

ولن يحدث هذا بغير تغير المفاهيم وتقبل النساء لفكرة الزواج الثاني والاقتناع تمامًا إن هذا لا يقلل قيد أنملة من قدرهن، بل إنهن حين يتقبلن هذا فإنهن يؤكدن على تقوتهن وتقبلهن لحكم من أحكام الشرع ، برضا نفس واحتساب ، وأيضًا لن يتحقق هذا إلا إذا اقتنع الرجل أن ما يفعله إنما هو طاعة لله وإتباع لسنة نبيه، ومشاركة منه في تحمل مسؤوليته وتحقيق القوامة التي اختصه الله بها، خاصة وما يستتبع هذا من تربية لأبناء الأمة ورعايتهم والحفاظ عليهم، كقوة فاعلة منتجة تشارك في التقدم لا في التخريب والفساد.

عايزة أتجوز

كلمة نسمعها كثيراً من الفتيات الآن، بعدما كانت حكرًا على الشباب فيما مضى، فهل تغير المفهوم أم هل تبدلت الحالة العامة في أمتنا؟ أم أن هذا نتاج أفكار وتصرفات خرقاء منا نحن، حولت الزواج الذي هو طقس احتفالي راقي يحقق سُنّة الله في أرضه من العمارة والعبادة، إلى كابوس يؤرق شباب وفتيات أمتنا من المحيط إلى الخليج.

بدأت المشكلة صغيرة ثم تفشت كالنار في الهشيم وعمت كل أصقاع أمتنا بأسباب وحجج مختلفة، فمن قلة الإمكانات وعدم توافر السكن، إلى غلاء المهور، مروراً بضرورة تزويج الكبرى قبل الصغرى، وضرورة زواج البنت بابن عمها، وضرورة التكافؤ العلمي والاجتماعي، وكل هذه الأسباب التي يتوهم أصحابها دومًا أنهم على حق.

عايزة أتجوز، كلما علت تلك الصيحة وكثرت الأصوات المطالبة بها؛ نصبح على يقين أن هناك خلل ما، وأننا على أبواب كوارث ومشكلات سوف تتفجر على المستوى النفسي والأخلاقي والاجتماعي، وحين نصم أذاننا عن تلك الصيحات فإننا نهيء الفرصة لظهور تلك المشاكل وتفشي الأمراض الاجتماعية،

وانتشار الجرائم الأخلاقية. فمن المتعارف عليه أن الخجل الذي يصاحب مرحلة الشباب مع قلة خبراتهم الحياتية تمنعهم من الجهر بتلك الرغبات، فما بالنا بالفتيات اللواتي جبلهن الله على الحياء أصلاً، فإذا بهن يجهرن وتعلو الأصوات بعدما تقلصت فرص الزواج أمامهن، وانتحرت أمالهن في تكوين أسرة والعيش بهناء في كنف زوج عطوف ، وطارت أحلامهن بالأمومة واحتضان طفل يشبع غريزتهن الطبيعية.

إذن فنحن أمام حالة يجب علينا دراستها ووضع حلول لها ؛ خاصة وإنها أفرزت بالفعل طبقًا لدراسات وإحصاءات صادرة عن مراكز رسمية وأهلية أفرزت مشكلات ومصائب يتعسر حلها ، إن لم يكن مستحيل أصلاً إيجاد أي حل لها ، وليس المجال هنا مجال سردها تفصيلياَ ، لكننا نوجز بعضها الذي انتشر وتفشى مثل الزواج العرفي وزواج المسيار والانحرافات الخلقية التي خلفت الكثير من ضحايا القتل أو الانتحار ، وتسببت في انهيار الكثير من الأسر والعائلات، بل وساهمت في انتشار جرائم كثيرة ؛ لعل أهمها الإجهاض ورواج تجارة المخدرات بأنواعها ، بعدما أصبح الجميع - فتيات وشباب - يتوق إلى الهروب من واقع أظلم بقسوة في وجهه.

ونحن لا نريد كعادتنا مع المشاكل أن ندفن رؤوسنا في الرمال، وندافع بالباطل عن مجتمعاتنا ، مدعين أن هذا يحدث بعيدًا

عنها، فلم تسلم بلد من بلدان أمتنا تقريباً من هذا البلاء، وهذا من خلال إحصاءات رسمية وليس من بنات أفكارنا، نريد أن نضع أيدينا على الأسباب ونضع بعض التصورات للحلول التي يجب علينا دراستها والعمل على تنفيذها، كل على قدر طاقته، وبشكل يساهم في تخفيف آثارها المدمرة على شباب وفتيات الأمة الذين هم عماد نهضتنا المرجوة، والتي نسعى لتفعيلها كي نعود أمة عظيمة كما كنا، ونتبوأ مكانتنا التي نستحق، بعدما تخلفنا عن الركب كثيراً.

ولا يختلف معي أحد في أن لبنة المجتمع الناجح الذي هو قوام نجاح أي أمة إنما هم مجموعة أفراده الناجحين، وإذا كنا نطالب الجميع بالتكاتف والنجاح من خلال الإنجاز والمثابرة والجهد؛ فلا أقل من أن نوفر له المناخ الملائم لينشط ويحقق المطلوب منه، وإذا كانت لقمة العيش هي الدافع للعمل وبذل الجهد فإن الاستمرار في بذل الجهد يستلزم توافر ولو الحد الأدنى من الدفء العاطفي والمناخ العائلي، الذي يتحقق من خلال زواج شرعي، والذي عز تحقيقه بعدما طحنتنا الأزمات، وأكملنا نحن بشروط وضعناها، ما أنزل الله بها من سلطان، لنساهم في غلق الأبوب في وجوه أبنائنا بقسوة ولا مبالاة، مع الادعاء بأننا نفعل هذا حفاظًا عليهم وعلى حقوقهم.

فلم نكتفِ بما فرضته ظروف الحياة وضيق المعايش بقسوتها، بل تفننا في فرض شروط تعجيزية لإتمام أي زيجة ، وأغلقنا عيوننا عن رؤية حال أبنائنا وبناتنا، وصممنا أذاننا عن سماع آنَّاتهم، ودفعنا بهم إلى طرق معوجة وسبل خاطئة سلكوها، بعدما سددنا كل طريق أمامهم في محاولة منهم للبحث عن راحتهم طالما لم نوفر لهم بديل، وطالما لم نحاول فهم صرختهم المدوية "عايز أتجوز".

فهل آن الأوان كي نغير من نظرتنا للأمور؟ ، ونتناول الأمور بطرق عملية تحقق الفائدة وبلا أفكار "مقولبة" ورثناها أو وضعنها وكرسنا العمل بها، هل نستطيع أن نتعامل بصدق مع مشاكلنا ونغير من أفكارنا بشكل نستطيع من خلاله أن نعيد تشكيل ثوابتنا بما يتلاءم وظروفنا وظروف أبنائنا وبناتنا؟ هل نستطيع أن نتخلى عن عنادنا وأن نعيد صياغة الواقع بشكل يعيد البسمة لوجوه أبنائنا وبناتنا؟.

أظننا قادرون على التغير؛ خاصة إذا بدأ كل منا بنفسه وتخلى عن شروطه وغيّر من مفاهيمه العتيقة، وبحث بداخله عن الحب الحقيقي والرغبة التي تحركه لإسعاد بناته وأبنائه، دون أن يلتفت لنظرة الناس التي تؤرقه دومًا وتجعله بلا تفكير رصين، تجعله متبع ومراقب لمن حوله دون أن يكون مترقبًا وخائفًا من انتقاد من حوله، نريد أن نحدث تغييراً يكون في

صالح تلك الأجيال وما سيتبعها من أجيال ، لنؤسس قاعدة اجتماعية قوية تكون حصناً لنا ونقطة انطلاق لتحقيق تنمية لمجتمعاتنا ، بما يساهم في الخطة التنموية الشاملة التي نأمل أن تتحقق لأمتنا.

وأنا على يقين من أن جميع المشاكل الاجتماعية والأخلاقية ستختفي بمجرد أن نيسر للشباب سبل الزواج ، ليقيم سُنّة الله في أرضه ، ويبتعد عن كل الطرق غير السوية ، بل وإني على يقين من أن عدد الجرائم سيقل بكل تأكيد بعدما يتحقق ذلك، ولا أظننا وقتها سنسمع من تصرخ قائلة: عايزة أتجوز.

أريد زوجة

كثيرٌ ممن يزورنني زيارة ودية أو زيارة عمل في مكتبي ؛ أسمعه يقول تلك الجملة إما مازحًا أو جادًا، وفي كل مرة تظهر علامات التعجب على وجهي، لأني أعلم أن جميع من يزورني رجال متزوجون وأنا على معرفة ببعض أسرهم ، لكن حين يكون الشخص جادًا وليس مازحًا ؛ ويبدأ في سرد شكواه أو رغبته في الزواج بزوجة ثانية يتملكني العجب، وقد كان مجرد الحديث في هذا الموضوع قبل عدة أعوام يعتبر جرم قد يعاقب عليه من قبل زوجته، ربما بعقوبة قد تصل للخلع، ثم أتت الدراما التلفزيونية بالجديد والمثير، بداية من عائلة الحاج متولي ، ومرورًا بكل عمل سوق لظاهرة التعدد ، وكأن هناك اتفاق ضمني بين صناع الدراما من كتاب ومخرجين للتأسيس لهذا الفكر الذي كان فيما سبق من المحظورات.

العجيب أن هذا الذي يصرح برغبته في الزواج تتكرر تصريحاته العنترية ، وتمر شهور وربما أعوام ولا أجد صدى لدعواه تلك على الصعيد العملي، بل هو تكرار كتكرار المجيب الآلي في بعض التليفونات، وفي كل مرة أمازح أحدهم بأن لدي عروس له أرى عجب، فمنهم من يبدأ بوضع شروط تعجيزية

ليتمكن من الإفلات، ومنهم من يشهر سيف عنتريته ويجيبني أنه على استعداد للتنفيذ فوراً، وهو يدرك تمام الإدراك أني أمزح وحسب، والأغلب والأعم هم من يحولون الموضوع إلى مزاح ويثنون على زوجاتهم، ويثمنون العشرة والمودة التي كانت قبل لحظات هباء نثر من ذاكرتهم.

لكن حين ننظر للأمر نظرة متعمقة؛ نجد أن ما كان تابو ممنوع الاقتراب منه والحديث فيه، أصبح عاديًا ومقبولاً عند الكثيرين والكثيرات، ولا أدري أهي الظروف تحكمت في صياغة رؤى مختلفة، أم هي الدراما والثقافة التي سادت فجعلت ما لم يكن مقبول في السابق مقبول الآن، أو ربما هي عودة إلى الشرع وتحكيمه فيما يخص فقه المعاملات بين العباد وأنه ليس للعبد أن يحرم أو يجرم شيء شرعه المولى عز وجل، أو ربما كل ما سبق مجتمعًا ساهم في تلك الصياغة الجديدة، ووضع مسلمات رائدة في هذا المجال.

وقد سمعت من نساء بل ومن بنات في مقتبل سن الشباب من تُبدي موافقتها على أن تكون زوجة ثانية شريطة أن يتقي الله فيها من يتزوجها، ويكون قادرًا على تحقيق كل متطلباتها في حدود المعقول، وحين تناقشت مع بعضهن وأثرت موضوع العنوسة وأنه ربما وراء هذا الهاجس تبين خطأ نظرتي، فأكثرهن تقدم لهن أكثر من خاطب، لكن في حال رجحان كفة المتزوج

خلقًا وقدرة مادية؛ فإنها تفضله على رغم ارتباطه الأول، عن شخص تخشى الارتباط به ولا تطمئن نفسها إليه، ما أريد قوله أن موضوع أن يكون المتقدم متزوجًا لم يصبح عائقًا طالما استوفت شروط أخرى تراها أكثر النساء جوهرية، وهي الطيبة والحنان والإحساس بالأمان في معيته ، مع توافر التقوى والقدرة المادية وألا يكون طاعنًا في السن.

وعلى النقيض أرى الكثير من الرجال الآن يحجمون عن تنفيذ ما يتلفظ بعضهم به من رغبته في الزواج بأخرى، وقد يأتي مرد هذا من تبعات الحياة وصعوباتها التي باتت لا تقتصر على الهم المادي، بل أصبحت تعقيداتها وهمومها الكثيرة لا تسمح للرجل بفرصة تنفيذ ما يحلم به، وقد يكون السبب ما يعانيه البعض على أيدي زوجاتهم وما يعيشه من همٍّ ونكدٍ قد يتواصل بسبب أو بدون، هو دافع رئيسي في عدم رغبته في تكرار تجربة قد تنجح وقد تلحق بسابقتها، أي أن الأمر انقلب وتغيرت المواقع، وأصبحت عبارة أريد زوجة أو بمعنى أدق أريد زوجة ثانية لا تعدو أن تكون تنفيسًا من الرجل، ليعبِّر بها عن حقوقه التي ربما يراها قد أهدرت على مدار أعوام خلت... ولا عزاء للرجال.

رسالة امرأة مهمومة

لا أدري بما أبدأ لكني تعبة، وقد أثخنتني الجراح، جراح بيدي أنا، وأخرى كثيرة بيدك أنت وكلاهما لأجلك أنت، لا تتعجب فأنا ومن أول يوم أدركت فيه أني أنثى، صاحب إدراكي أني الراعية لك، القائمة على تحقيق سعادتك رغم أنك تزعم دومًا أن القوامة هي لك بنص الذكر الحكيم وأنا لا أنازعك إياها ولا أفكر، لكني أحاول أن أجد شاطئ نلتقي على حافته، نتلاقى بصدق على أرضه الصلبة دون أن تكون هناك رمال تحرك أقدامنا وتزلزل خطواتنا، دون أن تكون هناك أمواج تطغى بغرورها على صفحة الشاطئ فتمحي ما سطرناه واتفقنا عليه.

سيدي - واسمح لي أن أناديك هكذا - لأني وبصدق لا أستشعر غيرها من الكلمات، فهي الأقرب لحالنا، أقسم أني سعيدة بها، فأنت سيدي ومليكي وأنعم به من شرف، طالما ستقوم بتحقيق كل معاني القوامة، وأنت سيدي وتاج رأسي لأنك حين تكون سيدي فأنت سيد على فصيلتك ولست سيدًا على من هم دونك من خلق الله، إذن فأنا نصفك وصنوك، وحين تشعر أنت بهذا، لا غرو أنك ستكون كما أريد لأكون أنا أيضًا لك كما تريد. لكني أريد أن أرتاح، أريد أن أريحك كي أرتاح أنا أيضًا،

فقد تعبت من تقلباتك، لا أدري ماذا تريد كي أريحك، أنت نهم يا سيدي لجسدي أكثر من مشاعري، ولا تنكر!، أنت تبحث عن الأجمل والأكثر إثارة وأنوثة، وهذا لا أنكره عليك لأنك ربما تكون قد جبلت على هذا، لكن ألم تفكر في أنا؟ وفيما جبلت أنا عليه، يا سيدي أنا أعشق الرقة وتذيبني لمسة أو همسة، جرب ولن تندم ووقتها ستجدني كما وددت وكما أردتني دومًا.

لكنك تهوى الأنوثة البعيدة، وتتطلع إلى الجمال الذي يتراءى لك كل لحظة وتعشق أي لفتة من أنثى أخرى، وأي جديد تراه عينيك سواء على الشاشات أو في سياق حياتنا، وفي نفس الوقت تطلب مني أن أكون ملتزمة محتشمة ولا أقلِّد أحدًا غيري، ولا أفكر أو أتطلع حتى لإبراز بعض مما لدي من جمال وكأنك تصرخ بوجهي أنت شيء وهُنَّ شيء آخر، مع ما يمثله هذا من جرح لأنوثتي، رغم أنك لو أعطيتني ولو فرصة واحدة لرأيت مني ما يرضيك بل وما يدهشك.

حين أسمعك تتحدث مع أصدقائك وصديقاتك (وبالمناسبة أنا لا أغار من أي منهن حتى لا تحمل حديثي أكثر مما يحتمل)، أجد هناك فارقًا كبيرًا وأنت تبعثر الضحكات وتنثر القفشات وتسهب في عبارات المجاملة التي أشتاق لسماعها ولو مرة حتى أشعر أني أنثى تهمك، وامرأة يشغلك طيفها وتحرص على

إطرائها، أين حديثك هذا من حديثك المقتضب معي، أنت تبخل بالحديث إلا ما ندر، يشغلك التلفاز وتستبيح أوقاتك الجريدة، ثم يخطفك الحاسوب، وتتناسى إني بحاجة لأحدثك، وبشوق لأن أسمعك، لأتواصل معك وأبني جسور من الود والألفة بيننا.

لا تغضب حين أعرض عنك وأبتعد، لا تتعجب حين لا تجدني بحضنك أخر الليل، أو حين لا أشتاق لمستك أيام وشهور، فقد صنعت أنت حاجز وأطفأت جذوة الشوق، وفرشت نتف الثلج في طريق تقاربنا، حتى بات طريق لقائنا محفوف بالصقيع، ولولا ما بيننا من ميثاق، وفطرتنا التي تنادينا كل حين؛ ربما ما تلاقينا ولا اندمجت حبات العرق بجبيني وجبينك أو عانق عطري همسك.

كنت أود أن أعيشك حلم وردي وأكن لك كل ليلة، أميرة تراها للمرة الأولى كما بالحكايا، هكذا حلمت وهكذا وأدتَ أنت الحلم.

لا أدعي أنك صاحب كل جراحي أو سببها، لكني أيضًا حين جرحت نفسي كان الجرح لأجلك أنت، تارة لأني أردت أن أسعدك وفشلت، وتارة لأني أردت أن أحافظ على ما تبقى من كرامتي وكبريائي لأجلك أنت، وحتى تشعر أني أستحقك بما

أحمله من سجايا ، وبما أنا عليه من صفات أحسبك ترغبها وتشتهيها في شريكة عمرك ، ورغم هذا فأنت بكل ما تمثله لي في تلك الحياة، سبب رئيسي في حيرتي وتعبي.

أرأيت كم أنا متعبة مهمومة وفكري مشتت ، حتى أنني لم أستطع أن أصيغ كل ما يدور بخلدي من أسباب همي وتعبي وجراحي، أرأيت كم أنا أشتاق لألقي بهمي وتعبي بين يديك، وبرأسي على كتفك ، شريطة أن يدفئني حنانك وتشملني بعنفوان عاطفتك، شريطة أن أشعر برقتك تنساب عبر أناملك إلى خصلات شعري وأنت تمسح رأسي بكفك وتعانق خصلاتي بأطراف أصابعك ، وشريطة أن تصبح شاطئ سفني التي أرهقها الترحال.

امرأة من هناك

أمّا أين هذا (الـ هناك) فلا أدري ؛ لكن ما أدركه جيدًا أنها امرأة تقترب من الكمال البشري ، امرأة بغاية الذكاء والرقة ضحكتها سيمفونية عذبة تروي سمعك بفيض عطر ، وحين تنظر إلى عينها فإنك تبحر في واحات الجمال ، وتستقي من مُزن الحنان، تبهرك بعقلها وتأثرك بأفكارها ، وهي مع هذا لا تصدمك بفكر رجولي أو عقل عملي ينسلخ من دفء العاطفة ، بل على العكس فعقلها يضفر فكرها بدفء عاطفتها ، فتتناثر أحرفها كأنها الدُرّ ، وتستبيح ساحتك بحيائها المزدان بفهم أخلاقي لأنوثتها ، وعفة مشرقة كبسمتها التي لا تفارق ثغرها برقته.

لا أتحدث عن امرأة من الخيال ، بل هي كيان عايشته ، وحلم أعيشه بكل تفاصيله ، وهي من الجمال بمكان لتدفعني أن أصفها بالحلم رغم كون تلك الأنثى متواجدة فعلياَ في حياتي ، لن أظلمها فأصفها بالملاك لأنها على بشريتها بكل هذا السمو والدنو من الكمال يرتفع شأنها ، وهي بتقواها أجل وأعظم من أي وصف ، ليست بالفاتنة التي تلهيك عما سواها من جمال خلق المولى ، ولا بالدميمة التي تنفرك وتسخطك على بني

جنسها ، لكنها مقسطة ، لا تتدلل في تكسر وغنج ، وليست بالخشنة حادة الطباع ، ضحكتها موسيقى عذبة كرقرقة ماء وبسمتها وضاءة، إذا غضبت لا تلبث أن تعود معتذرة وعينيها تلومك أن دفعتها لتغضب منك ، ثم تسترضيك برقتها وعطر حديثها.

طوفان من الحب والعشق هي، دون قسم أو تأكيد تدرك أنها على استعداد للتضحية من أجلك بسعادتها وراحتها بل بروحها، العطاء عندها عقيدة راسخة ودعامة من دعامات بقائها محبة بإخلاص، حين تقف أمامها تدرك أنك أمام مخلوق خرافي انقرض ، لا تمل النظر إليها أو التفكير فيها ، فهي نبع المتعة سواء أكانت بين يديك وفي أحضانك تصدم أنفاسها العطرة صدرك في حنان وشوق، أو كانت بطيفها تسكن عقلك وقلبك الذي يمارس طقوس سعادته في حضورها الدائم، معانقة طيفها تشعرك بقدر من السكينة يكفيك لتروي عطشك، حتى يهطل عطرها فوق مقلتيك بحضورها البهي ، ودفئها الذي ينسيك قسوة الدنيا وينزع عنك آثار الألم مهما كان.

امرأة هي لكنها ليست ككل النساء ، فهي نسيج متفرد لم يصادفني قبلاً مثلها ، ولا أعتقد أنه بالإمكان أن أصادف من النساء من تقترب من صفاتها أو تنازعها مكانتها بين نساء الأرض، وهي على نشأتها البسيطة في بيت عادي ولأبوين أقل

من العادي تدهشك بهذا التماس الشديد مع الكمال، وتجعلك تفكر كثيراً وأنت تحاول أن تعرف أي الأسباب التي جعلتها ما هي عليه، لكنك في النهاية لا تلبث أن تسلم بعجزك وتتوقف عن محاولة تفسير تلك الظاهرة المتفردة، وقد فعلت أنا هذا واكتفيت بالتمتع بوجودها بقربي دون أن أجهد عقلي في تفسير جمال تلك الأنثى التي قلت إنها من هناك الذي لا أعرفه.

كل النساء أنتِ

حين نبحر في كتب العشق ونقرأ عن قصص العشاق تخاطفنا الكثير من التوجهات، وتتحكم في نظرتنا ثوابتنا التي هي إرث ثقافتنا بكل من تحمله من نظرات متناقضة تتفاوت في تفاعلها مع ما يطرح من رؤى، فنرى الذي تحكمه توجهات دينية صرفة قد أدان العشق ووصم العشاق بكل التهم التي تخرجهم من الملة، وتطرحهم في غيابات الضلال، أما الذي تحكمه توجهات وثقافات مادية بحتة فهو ينظر باستعلاء إلى العشق ويرى أنه من ضروب السفه واختلال التفكير، وعلى النقيض نجد الشعراء والأدباء قد غالوا في وصفهم للعشق أثره ومآثره.

ولنكن منصفين؛ فالعشق أو الحب كمشاعر جبل عليها بني البشر يظل الإحساس الأسمى والراقي، والرابط الأقوى بين خلق الله طالما كان هذا في سياق شرعي طبيعي، وطالما ساهم هذا الشعور برقي في التعامل واتباع المنهج القويم في سلوك طريق العشق ومجانبة تخطي الحدود شرعًا في كل ما يتعلق به وبأطرافه.

وأنت حين تسأل أي عاشق بصدق عن محبوبه؛ فهو يكيل لك من صنوف المديح ما قد لا تصدقه أو يستوعبه فهمك، لكن

اعلم أن هذا هو شعوره بحق، وان إحساسه بالحب يسيطر على كل ذرات جسده وتفكيره، وهو لا يكاد يرى في محبوبه أي عيب، أو فيما يفعل أو يقول أي نقيصة.

المحب ذكر كان أو أنثى يرى من يحب قد ترقى ليقترب من حد الكمال بنظره، وأنا أرى أن هذه نعمة من نعم الله علينا، ذلك لأن الإنسان بطبعه يميل إلى الانحطاط ببشريته ونفسه الأمّارة بالسوء، أما حين يعشق ويحب فإنه يحاول أن يسمو بذاته مرتين، مرة لأن عاشقه يراه في مراتب أعلى بكثير من حقيقته، فيحاول أن يتسامى ليلحق بتصور الحبيب ويزيد من العشق، ومرة لأنه يريد أن يكون أفضل من أجل حبيبه، ويظل هذا الاضطراد طالما بقى العشق متأجج في القلوب فتتسامى الأنفس وترتقي ببهاء.

والجميل أن العاشق لا يرى في الكون سوى محبوبه، فيصبح جمال حبيبه وعقله وأخلاقه هي الميزان الذي يقيس من خلاله باقي البشر، ينعدم المطلق ليحل محله مقاييس الحبيب، ويرى الوجود من خلال ما يراه في محبوبه، وكم من مرة سمعنا أو قرأنا من يتغزل في محبوبته بقوله كل النساء أنت، فكأنه اختزل النساء جميعاً رغم الاختلاف البين بين نساء الأرض في هذه الأنثى التي يرى فيها كل النساء، والحال كذلك لكل أنثى عاشقة، فهي ترى كل الرجال فيمن عشقت،

وتكتفي بهذا الرجل عن كل رجال الأرض ، لأنها حين تعشق وتصدق تسمو بمشاعرها لتصبح هي الأنثى النموذج للرجل الفذ الواحد على ظهر الأرض.

لغز الأنثى!

هل هي الجنس المقابل للذكر وحسب؟ هل هي تكوين فيسيولوجي مختلف تشريحياَ عن الذكر؟ هل هي رمز أم كينونة متواجدة؟، حلم أم كابوس؟ وطن أم تيه؟.

هي مزيج من كل ما سبق وزيادة ، الأنوثة هي المعادل الموضوعي للحياة.. للنماء والعطاء والخير ، وهي في ذات الوقت رمز للصراع وعنوان للفناء في معركة الوجود والتميز ، هي خير كامن في قلب الشر ، هي النار والماء ، الليل بقسوته وبرده (إذا أرادت)، ونور الشمس الذي يمنح الدفء والحياة.

والأنوثة ليست غنجًا ودلالاً أو فتنةً وجمالاً ، وليست رقة واعتدالاً ، بل هي مزيج من كل هذا لو اجتمع بنسب متقاربة في أي أنثى مع بعض من ذكاء وقاد ، وخفة ظل فارقة وخلق قويم ، لاكتملت الصورة واعتدل الحال وتحققت أمنية الخيال التي يتمناها كل عاقل يحلم بأنثى من جنان الرحمن.

لكن ويا لهفي من لكن هذه لا يستقيم الحال ونحن في خضم حياة دنيوية فانية تحتكم لناموس وضعه المولى عز وجل كي يمتحن خلقه ويثبر غور أنفسهم ، فتتعدد الفتن وتكثر أدواتها

والتي من أبرزها الأنوثة ، التي تسلب بعض أعظم الرجال عقولهم، فتنهار مقاومته ويسلم لها قياده.

وكما أن القوة هي عنوان مقترن بالرجولة سواء أكانت قوة عضلية أم قوة شكيمة وحزم وصبر على مقارعة المكاره ، فإن قوة الأنثى تكمن في ضعفها والذي يكون الأبرز والأجمل مقترنًا بهدوئها ورقتها وسموها، وهذا الضعف هو ما يطمع عدو الله إبليس في الأنثى في كثير من الأحيان، فيغويها ويحاول إضلالها بل ويحاول أن يضل بأنوثتها النصف الآخر من بني البشر ، وينجح دومًا من لدن هابيل وقابيل وحتى يومنا هذا.

الأنثى هي الجمال بعينه، وقرة العين التي تسعد قلب الذكر، هذا إن التزمت بتعاليم خالقها وسارت على نهجه القويم الذي يضمن لها السعادة والارتقاء ويضمن لها حب طرف الحياة المقابل ، وحرصه الشديد على إسعادها ومودتها ، ولا تكتمل الأنوثة بأي حال إلا إذا رغبت الأنثى بذاتها أن تحقق مقوماتها والتي تعلمها كل أنثى بالفطرة، وهناك من تستكمل وتحرص على إظهار تلك المقومات وهناك من تضيع وتضل في خضم بحثها عن هوية ضبابية رسمت ملامحها في خاطرها.

والأنوثة التي هي عنوان كمال أي أنثى على بساطتها ووضوحها تمثل للبعض ممن يحاول أن يثبر غور هذا التكوين

الرباني لغز، فأنت حين تريد أن تعانق جمال الوردة وتشرح الصدر بشذاها لست مطالبًا بأن تعرف تفاصيل هذا الجمال الذي أبدعه الخالق فيها، ولست مقصِّرًا إن استمتعت بهذا العطر دون أن تحلل من أين أتى وكيف تكَوّن، والأمر كذلك فيما يخص الأنثى حتى الشوك المحيط بالوردة، تجد مقابله لدى الأنثى حفاظًا عليها ورجاء لها، وربما أبلغ دليل على جهلنا هو تغافلنا عن هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم حين يقول منبهًا : خُلقت المرأة من ضلع أعوج، إن ذهبت لتقومه كسرته، فاستمتع بها على عوجها.

عطش الجسد

من خلال متابعاتي الحثيثة لما ينشر على صفحات الويب؛ أجد أن الأكثرية تنحي جانب الشغف حين يتعلق الأمر بالجسد، وقلت هنا الأكثرية حتى لا يغضب البعض متهمًا إياي بتضخيم الأمر وجعله عام، وأقول لهذا البعض قم بالدخول إلى أي موقع إخباري أو منتدى أدبي ثم قارن بين عدد القراءات لمواضيع تتعلق بالنهضة والعلم والفكر، وموضوعات تتعلق بالجسد، سواء بصحة الجسد أو رشاقته أو رغباته وشهواته.

الغريب أن البشر خاصة في منطقتنا العربية يهيمن عليهم هذا الهاجس بشكل طاغي، فنرى أن أي عنوان يتعلق بالجسد يجتذب الكثير ويتفاعل معه أيضًا الكثير، وفي اعتقادي أن تابو الخجل الذي يجثم فوق العقول هو المسبب الرئيسي لهذا، فحين تطرح فكرة معينة بأسلوب معين ويجد من يريد الخوض في مثل تلك الأمور أن الجو العام مهيء يدخل ويتداخل ويعقب ويناقش، وليس بخفي على أحد أن الويب ببراحه الرحب قد أتاح للجميع حرية الاطلاع على أدق التفاصيل مقروءة ومصورة، لكن هذا يتم على مستوى داخلي شخصي، لا يشبع رغبة المتابع أيًا كان ذكر أو أنثى في معايشة

الحدث اجتماعياَ ومعرفة ردة الفعل تجاه أي فكر ، ليضيف لمعارفه الآنية ما يضفي على قناعته بعض الرضا.

هي حالة من حالات العطش والتعطش التي تبحث عن إرواء لرغبات الجسد، وقد فطن البعض ممن يستهويهم الظهور أو جمع أكبر قدر من المعجبين والقراء لهذا العطش ، فباتوا يزينون عناوين كتاباتهم بتلك المفردات التي تعنى بكل ما يتعلق بهذا العطش ، وهم يدركون جيدًا أن ضعف ذاكرة المتلقي التي تنجم عن كثرة ما يتابع تجعله فريسة سهلة ، تجتذبها تلك العناوين البراقة التي في كثير من الأحيان لا تعبر عن جوهر ما تنبئ عنه الأحرف المعنون بها.

في خضم هذا اللهاث الحياتي والمعرفي والتقني، يجد البعض أنه بحاجة لتلك الفسحة من الراحة والتوقف هنية على بوابة الدعة ، كي يعطي لجسده ومشاعره ورغباته الفرصة ويريح العقل من التوغل في غابات الفكر والمعارك الطاحنة التي يقحمها فيها عقله ، وهو يدافع عن أفكاره ومعتقداته وتوجهاته ، فييمن وجهه شطر مواضيع بعينها لا تتطلب ذاك الإجهاد الذهني والتشعب المعرفي، وتكون أولى المحطات التي يتوقف عندها ليريح نفسه هي تلك العناوين التي ذكرنا.

ولا غرو أن الدافع لا يكون دومًا بسبب الرغبة في عقد هدنة

مع نصب المتابعة بقدر ما يكون رغبة في إرواء عطش الجسد الإنساني، الذي جبل على عشق الرغبات ومعانقة اللذات، فنراه كلما ضاقت به السبل التجأ إلى تلك الزاوية، متوهمًا أنه يهرب بهمومه إليها وأنها الملاذ الآمن له بعد طول شقاء، لكنه لا يلبث أن يدرك حقيقة الأمر، وهي أن الجسد قيعان مهما حاولت روائه، فإنه يسعى إلى المزيد والمزيد دونما توقف.

وشوشات أنثى

كثيرات هن من يبَحنَّ بتفاصيل مشاعرهن عبر صفحات الويب، لكن قليلات من يشعرنك بهمسهن ، من يلقين بضفائرهن على الصفحة مع الأحرف لتشاهد براءة بنت تعدو لتلحق ركب الأنوثة في لهفة ، لإثبات انتمائها لعالم حواء ، ومنهن من تحاصرك بدفء أنوثتها حتى تسلم ذاتك لأحرفها وأنت سعيد ، أو من تهدهدك بكفها وأحرفها فوق أشرعة المتعة وتبحر بك عبر بحار الأنوثة الغارقة في الجمال والغنج.

فقط بعض من تلك الأقلام تحملك على أجنحة الحلم وتلقي بك في موج الأوهام وعالم الخيال الراقي ، تسافر بك عبر الأزمنة ممتطياَ أحرفها المعطرة إلى مزن العشق وغابات الكرز التي تزرعها عبر شفتيها وتجمعها بكفها ، لتطعمك متعة ما تحويه أحرفها من عذوبة وسمو مشاعر في سعيها لتضفير العشق بأرق معاني الفتنة.

حين تدقق وتخوض تجربه الإبحار عبر معاني الأحرف ، وتسافر عبر جمال ما يسطر ؛ تدرك أن لكل أنثى شذاها الخاص وشهد معانيها المتفرد ، ونبع أحرفها الذي يتدفق زلالاً كعسل مصفى يتهادى عبر مداد قلمها ، عطرها المميز ونقائها الفاصل المحدد

للفرق بين عزفها على أوتار القلب وبين أخرى تأتي نغماتها محملة برائحة البنفسج ، وثالثة يحملك صوت أحرفها عبر رائحة البحر إلى جزر الهدوء.

مقدرة كل أنثى على التفرد في عزفها لمفردات عشقها والبوح باقتدار وروعة عن مكنون نفسها من الأحاسيس يدهشك بروعته وصدقه ونقائه، ويجبرك على الوقوف والتأمل ومعاودة الاستمتاع بترانيم العشق التي ترتلها كل أنثى بهمس ودون جلبة تدرك هي بإحساسها أنها ستفسد سمو ما تبوح به ، ويعانق أحرفها الخجل الراقي، فتأتي الكلمات وكأنها وشوشات أنثى تسكن القلوب فتبعث في جنبات النفس دفء وتعيد إليها الحياة.

كيف تخسرين زوجك؟

في أقل من عشرة أيام وصلني من بعض أصدقائي ومعارفي الكثير من الإيميلات الشاكية والمتذمرة، ولأني أعرف أن الوعظ والكلام المنمق أصبح سلعة متاحة للجميع على صفحات الويب.

ليس هذا وحسب؛ بل إننا أصبحنا لا نطيق نصحًا ولا نستمع إلا لأنفسنا، فقد آثرت أن أخالف الطريق وأهدي أخواتي الكريمات ممن تذمرن وأرسلن بشكواهن تنفيسًا عن غضب أو مشاطرة للهم ليس إلا، لأني أعرف أن كل منهن لن تنفذ إلا ما هي مقتنعة به أصلاً، والذي يرتكز على ثقافة وإرث اجتماعي أصيل في منطقتنا، يضع شعاره الرئيسي (يا مأمنة للرجال يا مأمنة للمية في الغربال)، و(قصقصي طيرك ليلوف بغيرك)، وما يستتبعه هذا الإرث من الحرص والعمل، وما يستلزمه تطبيق ما جاء بكل المعطيات التي في تصورهن تحافظ على الرجل وتستأنسه بعد تقليم مخالبه، (هذا على أساس افتراضهم إنه وحش بالأساس يجب ترويضه)، لذا أثرت ألا أعرض نفسي للسخرية وأبدأ في سطر بعض النصائح الساذجة، التي ستعمق لديهن أو - لنكن منصفين- لدى كثير منهن القناعة بأننا معشر

الرجال مازلنا على بدائيتنا ، ويلزم عمل دؤوب لتحريرنا من همجيتنا الفكرية وتشذيب أظلافنا، وفضلت عوضًا عن هذا أن أخص نسائنا الكريمات الرائعات بطرق مفيدة للتخلص من الأزواج في حال مللن منه وأعيتهن الحيل لتقويمه (نهيتك ما انتهيت والطبع فيك غالب - ديل الكلب عمره ما يتعدل ولو علقت فيه قالب) نعمل إيه معلش.

وقد وجدت عدة طرق ناجحة وسهلة ومجربة للتخلص من الزوج دون أن يلحق بالنساء أي ضرر ، وذلك في حال أن إحداهن قد أصابها الضجر ورغبت في التخلص منه وخسارته بطرقه شيك، ورغم قناعتي أني لن آتي بجديد وأن هذه الطرق مجربة من قبلهن ؛ إلا إنني أردت أن يكون العمل أكثر دقة وأكثر ميلاً للأكاديمية في تناوله ، بحيث نجعل هامش الفشل صفر تقريباَ ، فجمعت ما استطعت الحصول عليه واختصرته وركزته في كبسولات كلامية تسهل على أي سيدة التخلص من زوجها بسهولة، ومن ثم تتفرغ هي؛ إما لاصطياد زوج جديد بمواصفات أفضل ، أو تبدأ في ممارسة حياتها كأنثى بكل ما تحمله الكلمة من تبعات تنوء تحت ضغطها الكثير من النساء!!

أولى تلك الطرق تتمثل في زيادة الطلبات والضغط بقوة على جيب الرجل ، ليتم استخراج كل فلس يمكن أن يكون قد

وسوس له شيطانه بأن يدخره تحسباً للمستقبل، فقد يكون هذا المستقبل يمثِّل امرأة أخرى، وهي طريقة قديمة ومجرِبة وتعرفها كل نساء الأرض.

الاستمرار بالضغط والطلبات دون هوادة ودون أن تأخذك به شفقة أو رحمة، فالرحمة مع هذا الصنف من الخلق تعتبر ضعف ولن تؤدي به إلا إلى سلوك الطرق المعوجة، التي تضره قبل أن يقع الضرر عليك أنت سيدتي.

الاهتمام بكل ما هو جديد وأصلي من كريمات البشرة التي تفتح وتغمق وتنعم، وأيضًا صبغات الشعر وكريماته التي تلون وتطول وتغير، ومتابعة كل ما يستحدث من هذه الأمور بجانب ما يتعلق بأمور الموضة والملابس، والإصرار على الشراء مهما كانت الظروف، وذلك لعلم جميع النساء بأن الرجل الذي يدعي أنه يتابع المسلسل إنما يجلس مستكين ليستمتع بنساء الإعلانات، لذا فإن حدث وخسرته تكوني في أفضل حال، ومرغوبة من رجال آخرين يسعون وراء الزواج بك.

عدم إعطاء الزوج الكثير من الحقوق، بل الابتعاد عنه وإهماله قدر المستطاع، وتقليص تلك الحقوق (بما فيها الشرعية لأضيق الحدود)، على اعتبار أنه (صنف نمرود)، ولن ينفع معه معروف، وإنه ربما لو أظهرتِ له بعض العطف

وقليل من الرقة والحنية وبعض التواصل ، لتمادى في غيه ولصق طول العمر، وأمضى معك بقية العمر وفيَا مخلصًا، في وقت قد تكونين فيه بحاجة للتغيير، وأصبت بالملل من هدوئه وطاعته ومودته.

فتح باب الصداقات مع أخواتك من نساء العائلة والجيران على مصرعيه، والتشاغل بهم وإظهار أعلى درجات الاهتمام بهم، والحرص على إرضائهم واستضافتهم في كل وقت وحين، مهما كانت ظروف زوجك ووقته أو وقت راحته، مع ضرورة تحديد أن ليس ما يتاح للصديقات من اهتمام يمكن أن يفتح الباب لمساواة الزوج بهن.

عدم معارضة الزوج في أي أمر قد يأمر به أو يصدره، وذلك تجنبَا للشجار، مع التأكيد المبطن غير المعلن على أن هذه الأوامر إنما هي سفسطة كلامية لن ترقى لحيز التنفيذ، وسيتم نسيانها بعد لحظات.

تنفيذ ما يعن لك سيدتي من أفكار وتطلعات دون الرجوع للزوج، بل وضعه أمام الأمر الواقع مع الضغط عليه من آن لآخر عن طريق أولاده ودفعهم إلى زيادة طلباتهم.

ربما تلك أهم السبل وأنجحها، رغم أنه يوجد عدد لا نهائي من الطرق لدى الكثير من النساء، بعضه سري لا يجوز نشره

وإطلاع الغير عليه ، وبعضه خاص بفئات معينة ويستلزم تنفيذه ظروف معينة ومتطلبات خاصة ، كالرغبة في إنهاء الموضوع بشكل سريع ومستعجل، وتبقى في النهاية طريقة كل أنثى الخاصة ، التي تميزها وتجعلها متفردة في تنفيذ بعض أو كل ما جاء هنا للتخلص من زوجها، ولعل ما جاء هنا يعفيني من الحرج في الرد المفصل على كل زوجة بما ينبغي عليها فعله مع أزواجهن (أصدقائي) الذين هم على شاكلتي.

أنتِ لا تحبين زوجك

حين تقرأ أي امرأة متزوجة هذا العنوان ستتهمني بالعته ، وستسارع إلى الدفاع عن نفسها، وستبدأ في ذكر الكثير والكثير مما تعتبره حواء دليلاً على حبها المفرط لزوجها، وأنا هنا لست مطالب أن أستمع لقائمة الأدلة التي ستقوم بسردها أي حواء، خاصة وأنا أعلم حق العلم أن هذه الأدلة لن تقنع أي آدم أن زوجته تحبه ، لا لشيء إلا لاختلاف الرؤى بين الطرفين ، والطبيعة الخلقية لكل منهما.

ولكي تتضح الصورة أكثر فسأضرب مثال معاكس ؛ فحواء بطبيعتها تعتبر أن دليل حب زوجها لها هو قدر الإنفاق الذي ينفقه كعلامة رئيسية وأولى على حجم حبه، وهو ما لا يقتنع به الكثير من الرجال، فلا علاقة بين قدر الحب وكم الإنفاق، ربما تأتي أمور أخرى كالمعاملة الرقيقة والحنان والطيبة والعطف ، لتعبر لحواء عن حب زوجها ، وهي تختلف في أولوياتها وفي وجهة نظر كل من آدم وحواء.

ولعل وصية أم لابنتها التي تضمها صفحات التاريخ وينظر إليها على أنها وصية جامعة تُعبر بصورة أدق عن النظرة الأنثوية التي ترى من خلالها تلخيص لبعض الأفعال التي

تؤدي إلى اكتساب حب الرجل، وهي وإن كانت جامعة من وجهة نظر حواء؛ إلا أنها ليست كذلك من وجهة نظر آدم، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا لماذا؟ ببساطة لأن الوصية ببنودها الرائعة من أم حكيمة لابنتها كتبت من وجهة نظر الأنثى التي ترى في الرجل الحماية والبأس والقوة، الراعي والسند والركن المكين الذي تحتمي فيه حواء حين تتكئ عليها الحياة، وهي على اشتمالها لكل ما يعين على نجاح الحياة بين آدم وحواء، وقد ذكر في تلك الوصية:

الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة...

والتعهد لموقع عينيه...

والتفقد لموضع أنفه...

والتفقد لوقت طعامه...

والهدوء عند منامه...

والعناية ببيته وماله...

والرعاية لنفسه وعياله...

ولا تعصين له أمراً...

ولا تفشين له سِرًّا...

وإياكِ والفرح حين اكتئابه

والاكتئاب حين فرحه...

وأشد ما تكونين له إعظامًا...

أشد ما يكون لك إكرامًا...

ولن تصلي إلى ذلك

حتى تؤثري رضاه على رضاكِ...

وهواه على هواكِ...

فيما أحببتِ أو كرهتِ...

لكن ما تجهله الكثير من النساء؛ ذاك الطفل الساكن بين جنبات هذا المخلوق الخشن في مظهره، القوي في طلعته، هذا الطفل هو ما يحتاج لحب حواء وتدليل حواء ورقة حواء، وأي حواء انتبهت لوجود هذا الطفل وأحسنت التعامل معه سرعان ما تمتلك على آدم لبه وتسكنه بكيانها، فلا يرى من النساء سواها ولا يرتضي بحبها بديلاً.

أما أكثر النساء اللواتي لا يرين هذا الطفل فهن يعجزن عن حبه، ويغضبن حين يهجرهن آدم لأنه المسيطر والقوي، لدى كل آدم هذا الطفل المشاكس الساكن فيه والذي يقرر بحزم إن كانت حواء تحبه أم لا.

بعثرة المشاعر

أنت مع الإنترنت أو ضده؟...

كثيراَ ما يُوجه هذا السؤال، وكثيراَ ما أجاب عنه بعضنا، لكنه يبقى السؤال الأهم والأبرز في معضلة تناولنا للأمور العامة...

وبعيدًا عن السفسطة والإجابات العامة التي تحمل الكثير من المعاني، مثل لكل شيء جانبه الإيجابي والسلبي، أرى أن تحديد موقفنا تجاه الإنترنت يتوقف دومًا على موقفنا الشخصي حال السؤال ويتغير بتغير الحال، فنحن حين نفيد منه وهذا واقع الأمر نكون معه ، وحين يفاجئنا ويصدمنا ببعض سلبياته نرفضه ونكون ضده، هذا حالنا جميعًا وأنا شخصياَ حدث معي هذا أكثر من مرة، وابتعدت وغضبت من الإنترنت ووطدت العزم على ألا أعود إليه أبدًا ولم ألبث سوى أسابيع وعدت إليه.

والإنترنت الآن أصبح المعلم والمكتبة التي تتسع لمعارف الدنيا قاطبة، فلم يعد من المهم أن نقتني مكتبة ضخمة فيها من شتى صنوف الكتب، بل اقتصر هذا الآن عند الكثير على مكتبة صغيرة فيها ما يتعلق بتخصصه واهتماماته ، أما الثقافة

والعلوم العامة فإن الإنترنت هو خير كفيل بها، بما يحمله كل يوم من جديد المعرفة ، وفي رأيي المتواضع أن الإنترنت لو اقتصر على هذا لكان أعظم وأفضل رفيق على الإطلاق، لكن وللأسف فإن الإنترنت خالطه الكثير من السلبيات حال معظم الاختراعات والاكتشافات الإنسانية ، فهو أولاً أصبح مرتعًا للكثيرين من أصحاب الأنفس المريضة؛ ينثرون فيه من عفنهم الكثير ومن أفكارهم الشاذة ما تعاف النفس ذكره، أضف إلى هذا الإباحية الفجة التي تنتشر عبر صفحاته، والعري الفكري والجسدي الذي أصبح علامة ووصمة ترافق الإنترنت.

وبعيدًا عن كل ما سبق؛ أود أن أشير إلى ظاهرة تفشت كثيراً ولاحظتها من واقع اهتمامي بالمواقع الأدبية والاجتماعية، ألا وهي بعثرة المشاعر عبر الصفحات ، فكل من يعيش تجربة عاطفية يسارع بنشر ونثر مشاعره على الصفحات، وكأنه يدعو الجميع لمشاركته حالة عشقة الخاصة ، ويستجلب عطف الحبيب عن طريق ما يرده من تعليقات على ما نشره، بل ويحاول إقحام الجميع في قصته، فيخرجها من حيز الخصوصية إلى حيز العام، وأعرف البعض يحاول أن يجبر من يحب على مبادلته المشاعر من هذا الطريق، وأنا وإن كنت لست وصي على تصرفات البعض؛ إلا أنني أجل المشاعر جدًا وأرى أنه من غير المقبول أن نشبب بالحبيب كما كان يفعل فحول الشعر في

الجاهلية، لأن هذا التشبيب كان دومًا يفضي بخسارة الحبيب لحبيبه، وهذا طبيعي في أمر يتعلق باثنين فقط.

وأنا وغيري خضنا غمار هذا النشر في بعض الأحيان، وكانت الخسارة دومًا ملازمة لتصرفنا، أقول هذا عن تجربة ونقلاً عن بعض أصدقائي الذين خلصوا إلى أن الإنترنت ليس مكان مناسب لبعثرة المشاعر، خاصة إذا كانت صادقة ونقية، فهي تفقد الكثير من نقائها حين يخالطها زهو نشرها، وتتحول من شيء خاص إلى موضوع عام يحق للجميع الخوض فيه وإبداء الرأي صواب كان أو خطأ، يحمل النصح الصادق أو يشي بقبح السريرة في شماتة.

المشاعر زهرة رقيقة تنبت في القلوب، تنثر أريجها عبر الأعين والقلوب، تزرع الأمل في العروق وتسمو بالنفس من قاع المادية القبيحة وشراسة الواقع، إلى سمو رهافة المشاعر وصدقها وجمال الأحلام ونقائها، وهي بهذه الرقة وذاك الوصف لا تحتمل أن تتناولها الكثير من الأيدي، فهذا التدخل يفقدها أريجها ورونقها ويذهب بهجتها، فتغدو ذابلة كسيرة وتزوي إلى الضياع، وكلما أمعن المحب في التواصل بمشاعره مع من يحب، وفقط كلما أينعت زهرة المشاعر وفاح أريجها أكثر، ثم أتت ثمارها التي ترجى من تقارب وارتباط بما يتوافق وشرع الله.

إلى جسدك أكتب

عيناك وشفاهك، صدرك وجاذبيتك التي يشعها جسدك المثير، كلها محسوسات تشد كل من يملك أدوات التعبير شعرًا أو نثرًا ولا يملك البصيرة لكي يكتب عنها وفيها الكثير، وهذا ليس بجديد فكل من تناول الكتابة عن المرأة تناول بعض أو كل ما سبق، وربما هناك من استباح لنفسه التوغل أكثر فأفاض في الوصف وتجاوز الحد، وشعر الجاهلية وما تبعه من شعراء العصور التالية خاصة شعراء الدولة العباسية وما تلاها حتى شعر نزار في العصر الحديث، وأعتقد أن القطار لن يتوقف.

أمّا لماذا يحدث هذا ويستمر؟ فإن الإجابة ببساطة لأن كثير من النساء تجد المتعة في ذكر محاسنها والتغني بها، فهو نوع من المديح تستسيغه بعض النسوة ممن لا عقل لهن أو دين، وتقبله أخريات على استحياء وهن يرين فيه تجاوز لكنه يرضي الغرور الأنثوى، وتعف عنه القلة ممن ترين فيه فحش ومنكر من القول، هذه واحدة وأما الثانية فعلم أكثر الشعراء بهذه الخصلة في النساء ورغبة منهم في نيل رضاهن تجعل من مغازلة الجسد أسهل الطرق للتقرب، خاصة لضعاف النفوس من النساء... والذي يدرك الحقيقة الساطعة يعرف أن التغزل بتلك الطريقة ومخاطبة الجسد وحسب هي من أسوأ وأحط

طرق الغزل، لأننا حين نتغزل في جمال الجسد يكون قد استوى ونضج واكتملت أنوثته، ولأن سُنّة الله في خلقة أن يتم نقض الشيء في هذه الحياة الدنيا بمجرد ظننا أنه بلغ الكمال؛ فإن منحنى الهبوط الحقيقي لجمال الجسد الذي نكتب له يكون قد بدأ، وقت انطلاق غزلنا لهذا الجسد أو ذاك، وحينها إذا كنا نتغنى بهذا النضوج فإننا نعاف وننكر هذا الجسد بمفاتنه فور شعورنا بأنه بدأ رحلة الأفول والانزواء والذبول.

وهذا الذي ذكرنا يوصلنا إلى نتيجة مفادها كذب المشاعر التي تتغنى بالجسد وتكتب له، لأنها غير ثابتة وتتعلق بشكل تراه في أوج كماله وهو يكون قد بدأ رحلة ضياعه واندثاره التي لا تتوقف إلا في محطة الموت، كنتيجة طبيعية لدورة الحياة الدنيا، فإذا كان من يكتب للجسد يعي أنه حين يكتب يوائم بين مشاعره وما يكتب؛ فإنه يعي لا محالة أن مشاعره المتعلقة بحرفة سيكون مآلها هي الأخرى إلى الضعف يوم بعد يوم ومن ثم إلى الموت، فهي علاقة شرطية مقيتة متعلقة بالشيء الفاني ألا وهو الجسد.

أما حين يكتب الإنسان للمشاعر وللروح والأحاسيس فإن العلاقة تزداد قوة يوم بعد يوم، نظرًا لأن المشاعر والأحاسيس تزداد نضجًا ورسوخًا مع مرور الوقت، وتتألق بسمو الروح وعمق النظرة الخبيرة كلما أوغل الإنسان في العيش، فهي على

عكس الجسد تزداد إشعاعًا وتتسامى رونقًا يوم بعد يوم، لذا فأغلب العلاقات القائمة على هذا الإدراك تزداد قوتها التي تنعكس على قلوب أطرافها وصحتهم وفكرهم، فتزيدهم ألقًا ومحبة وتمنحهم السعادة التي يفتقدها كل من بنى توجه مشاعره على أسس الجسد وحسب.

اذن فمن يكتب لجسد الأنثى هو واهم ومتوهم يكتب كي يشبع رغبة شهوانية دفينة في نفسه، أو في نفس من يخطب ودها، وهو واهم لأنه يظن أنه يخلد مشاعره عبر أحرفه، وهذه الأحرف التي تتعلق بزائل تزول وتنمحي معه، وهو يتوهم أن ما يصفه من جمال ظاهري باقي، ولو أمعن النظر لأدرك خطأه وظهر له جلياَ واضحًا، لكن بريق الجمال في لحظة التغني به يعمي الكثير من الأبصار ولا يفلت من براثنه إلا صاحب بصيرة نافذة وعقل كيس.

لذا فحين يصدق المرء مع نفسه يكون تغزله في الباقي وهي الصفات الحسنة والخصال الحميدة فيمن يعشق ويحب أبقى وأكد، فهو وإن ذهبت صاحبته بجسدها الفاني يبقى ذكرها الطيب وخصالها الأصيلة محفورة بالقلوب والألباب، يعطر وصف خصالها الطيبة الأسماع بأريجه، ويرسم البسمة فوق الشفاه التي تتمتم لها بالرحمة بعزيمة صادقة، وحب يزيد يوم بعد يوم، ولا يشوبه أي نقصان مهما مضى من زمن.

امسك يدي ، ضمني

دفؤك ، لمساتك ، تصريح عبوري لأراضي الفرح ، بسمتك تشعلني قنديل سعادة ، همساتك... أشتاق لشذاها يعطر سمعي ، أحتاج لدفئك ، قيدني لصدرك ، وانثر أنفاسك فوق ملامح وجهي ، أمطرني نظرات وأزرع عينيك تحت الجلد ، قربني أكثر لا تبعد، واحضن بيديك يديّ، أشعرني بحبك.

صمتك يعجبني حين تصرخ عيناك: أحبك ، والهمس الدافئ يتغلغل في الشريان ليصل لقلبي ، فيعيد للنبض الخافت قرع طبوله ، وأظل الليل بطوله مشرعة العينين أشاكس كل صنوف النوم ، طمعًا في المزيد من دفئك ، أصغي بكل حواسي للنفس المتسارع من صدرك ، وأترجم همهمة القلب لكل لغات الحب المطوية... انتظرك عمري ، وأبادل نصف العمر بضمة ، ضمة تعيد الزمن المتسلل عبر السنوات الثكلي ، تمنحني أجنحة الشوق ، تحملني فوق الضوء وبين ثنايا البرق ، كي أتغلغل بسماك ، وأعانق بالثغر ثناك.

امسك يدي كي أتدثر بحنانك ، وأعاود تكملة الحلم الهارب بردًا، أدفئني بضمة تعيد للنفس النبض المتهادي صوب الموت ، أسمعني دفء الصوت ، كي أحيا ، كي تتحرك روحي في الجسد

الهالك، وتهب شراييني فتعانق في الأمل حياة، أنفاسي تشتاق رحيقك، وترفرف فوق طريقك، أرشدني لطريق البسمة، وأترك لي حظًا من طيفك.

أربع نساء

لي صديق ورث عن الحكيم عداءه للنساء وهو لا يجد فرصة للنيل منهن إلا وانتهزها، حين انتهينا من صلاة القيام في إحدى ليالي رمضان وخرجنا همس لي وهو يبتسم هل تصدقني الآن، فرددت عليه فيما؟ فقال ألم تسمع تلاوة الشيخ؛ ثم تلا الآيات الكريمة: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ{١١} وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ{١٢} وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ).

ثم أردف قائلاً حتى زوجات الأنبياء تخون ، فضحكت وأنا أحاول أن أفهمه معني الخيانة في الآيات الكريمة ، فقلت له حاول أن تقرأ التفسير قبل أن تحكم وتتحدث في أمور قد توردك موارد التهلكة ، ففي تفسير بن كثير يقول موضحًا: لَيْسَ الْمُرَاد بِقَوْلِهِ "فَخَانَتَاهُمَا" فِي فَاحِشَة بَلْ فِي الدِّين فَإِنَّ نِسَاء

الْأَنْبِيَاء مَعْصُومَات عَنْ الْوُقُوع فِي الْفَاحِشَة لِحُرْمَة الْأَنْبِيَاء وعنَ سُفْيَان الثَّوْرِيّ عَنْ مُوسَى بْن أَبِي عَائِشَة عَنْ سُلَيْمَان بْن قَرْم سَمِعْت ابْن عَبَّاس يَقُول فِي هَذِه الْآيَة "فَخَانَتَاهُمَا" قَالَ مَا زَنَتَا أَمَّا خِيَانَة امْرَأَة نُوح فَكَانَتْ تُخْبِر أَنَّهُ مَجْنُون وَأَمَّا خِيَانَة امْرَأَة لُوط فَكَانَتْ تَدُلّ قَوْمهَا عَلَى أَضْيَافه.

صمت صديقي الغاضب برهة ثم همس: لكن ألا ترى معي أن معنى الآيات الكريمة ينبئنا أن نصف النساء عاصيات ، فمن أربع نساء ذكرن هنا أخبرنا أن اثنتين في النار ناهيك عن حديث الرسول صلي الله عليه وسلم الذي يخبرنا بأن معظم أهل النار من النساء، ومعظم أهل الجنة من الفقراء، ضحكت وأنا أقول له ولم لم تذكر النصف الآخر ؛ مريم البتول التي صدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من العابدات القانتات، أو آسيا زوجة فرعون التي كانت تحت أشر الناس وأكثرهم كفر وفجور وتكبر ؛ لكنها آمنت وتحملت في سبيل إيمانها الكثير، صمت صديقي برهة ثم نظر إلي وهو مغتاظ وتمتم قائلاً لن تجد النساء أكثر منك نصير ، على لؤمهن وكيدهن ما زلت تدافع عنهن، رددت بهدوء ليس دفاع يا صديقي بقدر ما هو إحقاق للحق ، ولو كنت أحكم بنفس منطقك فإن النساء الأربع اللواتي ذكرهن المولى قسمن إلى قسمين بالتساوي نصف منيبات مؤمنات صالحات ونصف عاصيات، فإذا طبقت هذا

المنطق على الرجال ترى هل سيصل عدد الطائعين للنصف؟ لم يرد صديقي.

كثير من الناس يرى الأمور من وجهة نظره هو فقط ولا يريد أن يتحرى الحقيقة لغرض في نفسه، ينطبق هذا على أمور الدنيا والدين، وفي اعتقادي أن هذا قصور وهو السبب الرئيسي لكثير مما نحن فيه من جمود وتخلف، فنحن ننظر للأمور من وجهة نظر قاصرة ووحيدة حسبما يتراءى لنا، دون أن نتعمق في دراسة الأمر أو القراءة والتفقه فيه، وهذا يوقعنا في حبائل السطحية وعدم الفهم، ويشوش علينا قدرتنا على إدراك الحقائق، فنصير أنصاف في كل شيء؛ فلا نحن عرفنا جهلنا فعالجناه ولا أدركنا تقصيرنا فجبرناه بالبحث والتعلم.

والمصيبة الكبرى هي أننا جميعًا مشتركون في هذا الجهل وتلك الأمية المعرفية، رغم كوننا نتعاطى التكنولوجيا ونتباهى بالتعامل مع الحاسوب، ونحن نجهل الكثير والكثير ولا نسعى لتطوير ذواتنا، فهل نتوقف لحظة ونراجع أنفسنا وأفكارنا ومسلماتنا وننتقي منها الصالح ونطرح كل ما هو بالي وعقيم من الأفكار المشوشة والمقولبة، لنعيد صياغة الفكر الإنساني من جديد بطريقة منفتحة على الآخر وأكثر شمولية وأعمق إدراك؟.

هكذا تحدث شهريار

شهريار هو أكثر المخلوقات غباء ونسيان..

فهو دومًا يغفل تاريخه ويغفل الموروث الشعبي الذي أكد على أن شهرزاد تفعل ما تريد وقتما تريد بالشكل الذي تريد ولو وضعها شهريار في قمقم؛ حقيقة تسعد من يعلمها ويدرك كنهها.

* * *

قد يحصل شهريار على جسد شهرزاد برضاها أو بغير رضاها، لكنها تظل وحدها القادرة على منحه دفئها أو حرمانه منه.

* * *

الشيطان لعبته المرأة والمرأة لعبتها الرجل ؛ باختصار أكثر... الشيطان لعبته الرجل، لكن بشرط أن توجد امرأة في الطريق، هكذا يتحدث كل شهريار سقط ، والعجيب أن كل شهرزاد ذكية لا ترد، فقط تنظر بمكر وتبتسم.

* * *

سألت شهرزاد بمكر الأنثى أيهما أفضل؟ شهريار الذي ظل يستمع منبهر لشهرزاد وبنات أفكارها لمدة ألف ليلة وليلة، أم

شهرزاد التي أدهشته بما تفتق عنه ذهنها من حكايات، أجاب شهريار بخبث لو لم يكن مؤلف هذا الكتاب رجل لكنت أجبتك بالذي تريدين.

* * *

قال لي شيخي:

ظللت أحلم بشهرزاد ستون عام ولم ألتقيها حتى الآن.

صمتت ولسان حالي يقول وهل تظن أنك ستجدها بعد السبعين؟ فهم نظرتي وهز رأسه وهو يقول نعم لن أفقد الأمل.

* * *

تغفر المرأة ظاهرياً خيانة الرجل، لكنها لا تنساها مهما حدث ومهما مر من وقت..

الرجل لا يغفر للمرأة خيانتها لا ظاهرياً ولا ينسى مهما كانت الأسباب!!

* * *

في العشر سنين الأولى من عمرنا نتعامل مع الأنثى بكل حب دون أن ننتظر مقابل لهذا الحب..

في العقد الثاني نلهث وراء نظرة واحدة من أي أنثى..

في العقد الثالث نبدأ في التفكير والمفاضلة بين المحيطات بنا، وإذا كنا تزوجنا تبدأ أنظارنا في التحول لأي أنثى أخرى دونما سبب مقنع.

في العقد الرابع ينقسم الرجال إلى يائسون ومراهقون.

في العقد الخامس يتجه شهريار إما إلى النقد ووضع النظريات أو لعب الطاولة.

في العقد السادس بعضنا يطلق لحيته ويحمل مصحفه في انتظار اليقين، والبعض الآخر يبحث عن كرسي الرئاسة!!

* * *

جلست إلى شيخي استمع فقال هامسَا:

أتعلم أن الفضيلة هي الأنثى؟

سكتُ وقد بدت الدهشة على تقاسيم وجهي..

صمت قليلاً ثم همس: الأنثى بحر.. أرض.. سماء..

نحن من نغرق فيها أو نستخرج لؤلؤها أو...

نزرعها خيراً فنجني أحلى الثمر

نعيش صفائها أو نعبث في مفاتيح أعاصيرها

* * *

في عرف الأنثى الاحتفاظ بحبها الوحيد داخل صدرها ومعايشته في لحظات الإحباط لا يعني الخيانة..

* * *

تمنيت أنثى واحدة في وقت كانت تسعى وراء نظرة من عيناي عشرات الإناث ؛ وحين فقدتها تلفت فلم أجد أي من تلك الإناث حولي!.

* * *

صغار: ننظر بانبهار للعلاقة بين الرجل والمرأة، ونحلم بأن نكبر لنختبر تلك المشاعر.

في شرخ الشباب : نشعر أن المشاعر هي المحرك الرئيسي والأقوى والأحق بالسيادة على ما عداه وقيادة دفة العلاقة.

في منتصف العمر: ندرك أن هناك الكثير والعديد من المحددات والقواعد والأولويات التي يجب أن تحكم قراراتنا بشأن تلك العلاقة.

حين يدركنا المشيب: نوقن أن المودة والرحمة التي ذكرها ربنا عز وجل في كتابة الكريم هي أساس أي علاقة نرغب في دوامها برونقها، ونحرص على نجاحها واستمراريتها.

* * *

الوقار الطاغي الذي كان يظلل شيخي كان يحيرني وهو كان يعلم ذلك فيبتسم ويصمت في انتظار سؤالي، غلبني فضولي مرة وسألته فضحك ضحكة مجلجلة كنت أسمعها للمرة الأولى منه، ثم همس وعيناه تدمع: هذا الوقار الذي تراه إنما أتى بعد سنين طويلة من الضياع والعربدة ومعصية الله، لكنني أحمد الله أن وجدت طريقي في النهاية.

* * *

حدثني شيخي كثيراً ونصحني أن أفر من شهرزاد ثم همس بمكر هذا إذا كنت حريص على قربها..

لم أفهم!

لكنه ظل ينصحني ويضحك (كعادته).

ربما اليوم بدأت أفهم..

فشهرزاد تتقن جيدًا لعبة القط والفأر..

وهي تجيد الهرب منك بمسافة لا تفقدك خلالها أبدًا ولا تجعلك تفقد ولهك واندفاعك إليها.

أما إذا انشغلت عنها وابتعدت فإنها تسعى بكل وسيلة لتقترب منك وتشغلك بها.

شهرزاد أميرة

هذا هو واقع الحال، وهي تنتظر نظرات الإعجاب والإكبار من رعيتها (شهريار وبنيه)، والويل كل الويل لمن لا يقدم فروض الولاء والطاعة في حضرتها وحضرة جمالها، حتى ولو لم تكن لها من الجمال نصيب..

* * *

قوة شهرزاد في ضعفها قول صحيح وحقيقي..

أما ضعفها فيكمن في لحظة يأس يوصلها إليه شهريار دون أن يشعر، فتنشب أظافرها في شرفه وتاريخه سرَاً أو جهراً.

المعضلة أنها لا تشعر بأي ذنب، ليقينها أن ما وصلت إليه إنما وصلته بدفعه إياها إليه..

* * *

تتزوج الأنثى لعدة أسباب..

لكنها حين تعشق تعشق مرة واحدة بكل كيانها..

الحُب هو

حاولت هنا أن أضع من مخيلتي ووجهة نظري رأي البعض في ماهية الحب..

* * *

الحب هو شعور محدد وواضح جهة إنسان معين ، أتحمل عيوبه، وأتمنى لو أبقى بجواره طوال عمري، الحب ليس عطاء فقط ، بل هو نوع من أنواع الأنا المحببة ، فأنت حين تحب ، فإنك تحب نفسك فيمن تحب، وتتمنى من خلال هذا الشعور أن يصبح الأفضل دومًا والأرقى دومًا والأنقى.

فيلسوف

* * *

الحب هو أغنية رقيقة، معزوفة راقية، زهرة في مفرق الحبيب، بيت من الشعر ، عطر يصاحب ذكرى الحبيب ، ونهر يجري ، ليل وقمر ونجوم ، موجة وبحر مجنون ، سهر وسهاد ، شوق ووجد ، لوعة واشتياق ، رسالة كتبت بالدموع ، وبقايا صورة مهترئة حفظت سنوات.

شاعر

* * *

الحب هو قطعة الجبن التي تضعها كل أنثى في مصيدة الزواج لتحصل على طريدتها بكل سهولة ودون معاناة أو إجهاد ، والمصيبة أن الطريدة لا تهنأ حتى بتلك القطعة البسيطة من الجبن، بل إن هذه القطعة تذهب لطريدة أخرى وأنثى أخرى لتوقع بها المزيد من الضحايا.

زوج مقهور

* * *

الحب هو ممارسة الجنون، والإبحار في أمواج الرغبة، واغتراف المتعة من منابع الدهشة ، ومعانقة اللذة ، الحب هو المجون وكسر كل القيود، هو السفر إلى مدائن المجهول، وعبور غابات الوحشة، هو امتطاء فرس الشهوة الجامح، المغامرة بلا قيود.

مراهق مغرور

* * *

الحب هو نوع من أنواع التناغم الراقي بين روحين ، سخرا قلبيهما وعقليهما لبناء علاقة ود وعطف ، بين نفسين يتوقان إلى الالتقاء على شاطئ السعادة والإبحار بسفينة العمر إلى جزر الألفة والتراحم عبر موانئ الفرحة ، الحب هو محاولة الانتصار على أمواج القسوة بالأحضان ودفء النظرات.

إنسان ناضج

العُرِّي

كلمة تشد البعض حين تصافحها عيناه؛ إما انجذاب أو هرب، وفي كلتا الحالتين يسيطر الموروث الثقافي والفكري على الشخص حال تعرضه لسماع أو رؤية هذا اللفظ، والعري ليس بالضرورة كما يتبادر إلى ذهن الكثير عري جسدي يبرز نهدين أو فخذين، بل إن العري الفكري أعمق بكثير، وهو عري يهدم صاحبه، لا كالعري الجسدي يفضح وحسب، إذن فهو أشد وأنكى، والعري الجسدي قد يضر صاحبه وحسب، أما العري الفكري فهو ذو تأثير ممتد لا يكتفي بهدم صاحبه بل ويشوش على كل مخالطيه.

العري في اللغة هو التجرد مما يستر الجسد، وهو سلعه رائجة عند السفهاء والخبثاء على السواء، يقدمها أحدهما للآخر تحت مسميات عدة، قد تكون المتعة أو التسلية أو الضرورة، وبتغافل وتواطؤ كل الأطراف يتم تداول العري أيضًا تحت مسميات وقوالب جاهزة تبرر له وتقنن شرعيته، ولما لا وهو الحاصد الأكبر للملايين، وحين نحاول أن نشرح تلك الظاهرة أو ندرسها بتعمق وتفصيل نجد أنفسنا وقد وقفنا حائرين، فلا منطق لأن يتاجر بالعري شعوب متقدمة وغنية ومتحررة،

وينافسها في هذا شعوب متخلفة وفقيرة وأحيانًا مستعمرة أو شبه مستعمرة.

حين بدأ تغلل الإنترنت في شتى مناحي حياتنا؛ حذر كثيرون من مغبة هذا الغول القادم ليقتحم علينا وعلى أولادنا خلوتهم، وينشب أنيابه فيهم، وهزء الكثير من تلك التحذيرات غير آبهين بها، وهونوا كثير من أمر خطرها، خاصة وقد قنعوا أن النت سيسيطر لا محالة على كل شئون حياتنا، ولن تمر سنوات كثيرة حتى يصبح كل شيء يتم عن طريق هذه الشبكة التي تنمو كل لحظة ملايين المرات، وأصبح الجميع مهووسًا ومتعلقًا بها والجميع يتسابق للإفادة والاستفادة من خدماتها.

ووجد الكثيرون هذا المجال أسهل الطرق لتقديم العري كما يحلو لهم، ولن أقول إنها مؤامرة، بل هي شطارة أفاقين وجدوا ضالتهم وأرباحهم السهلة في طرق هذا الباب الواسع والبسيط ودون احتكاك بأحد أو التعرض لمضايقات أو ملاحقات، وهم يزعمون دومًا أنهم إنما يقدمون خدماتهم للراشدين، مع علمهم ويقينهم أن ما يقدمونه إنما يستهوي الصغار والمراهقين والسفهاء، وأن جل ما يجنونه من وراء مواقعهم وإعلاناتهم إنما هو نتاج إقبال تلك الفئات العريضة على ما يقدمونه لهم من سم في عسل، خاصة وهم يعرفون جيدًا كيف تدار أمور النت وكيف يكسرون أي حدود أو

عوائق توضع للحد من آثار تلك المواقع المدمرة ، ولديهم شغف لاستكشاف هذا العالم الغامض والغريب والجديد.

ولأن عالم العري ضيق بحدود يعرفها العاقل ويعرف أنها في الوضع الطبيعي لا تشغل إلا جزء يسير من حياتنا ؛ فإن شياطين الويب تفننوا في تقديم كل ما هو مثير وغير منطقي وغريب ، ليجذبوا السفهاء كبار وصغار لمواقعهم ، وقد قرأت بحثًا لطبيب كبير كانت خلاصة ما توصل إليه أن سبب كثير من حالات الطلاق بين الشباب وانتشار الكثير من الأمراض هو تعرض أحد طرفي العلاقة لتلك المواقع وإدمانه على متابعتها، بل والأنكى من ذلك فقد توصل الطبيب من خلال بحثه الذي استغرق عدة سنوات أن تلك المواقع المشبوهة والتي ظهر منها الكثير باللغة العربية يحتوي ليس فقط على صور ومقاطع فيديو إنما يحوي أيضًا على قصص تؤسس لزنا المحارم، وتدعو إليه، ناهيك عن تقديم كل ما هو مسف ومنحط وسافل من تصرفات رجال ونساء يفترض إنهم أناس عاديون ، وأن ما يقومون به من تصرفات إنما هو شيء حادث ويحدث يومياَ فيشب النشء على اعتبار أن هذه أمور عادية تحدث ولا ضرر منها.

وقد خلص الطبيب في نهاية دراسته إلى أنه ليس هناك سبيل لمنع تلك المواقع من الظهور، ومداعبة خيال السفهاء والصغار

مهما حاولت كل دولة، لأن تلك المواقع تمتلك تقنيات تجعلها تتلون وتغير من جلدها وتهرب من كل حظر، ناهيك طبعًا عن التقدم التقني الذي صار يتمتع به كثير من الصغار في معالجة أمر الحظر، والذي بات من الماضي.

ويحضرني هنا جملة مأثورة كانت كل الراقصات يقلنها بلا حياء، حين يسألن عن سبب سلوكهن هذا الطريق مع ما فيه من مآخذ وحرمات، كانت هناك إجابة وحيدة: هربت من قسوة أهلي ورقصت بشرفي، وهنا تكمن المفارقة، فهي وبرغم تعرية معظم جسدها تتحدث عن الشرف وتتمسح في الفضيلة ، وهذا لا تفسير له إلا ما بدأت به كلامي وهو حدوث التعري الفكري والثقافي، فنحن حين نصاب بالعري الفكري تكشف سوءة عقولنا ونفضح، ولا نعد قادرين على التمييز، فقط يكون جُلّ اهتمامنا أن نحاول ستر أنفسنا، ولو كما روي على سبيل التهكم من أن إحدى نساء البدو ارتبكت بدخول بعض الرجال عليها وهي كاشفة لوجهها، فرفعت جلبابها وغطت رأسها منهم وانكشفت عورتها، هذا يكون حالنا حين نكون مصابين أصلاً بالعري الفكري والثقافي ونحاول أن ندافع عن أنفسنا فنزيد الأمر سوء.

المغزى هنا أننا يجب أن نحصن أنفسنا أولاً ضد العري الفكري والثقافي، وأنا أعرف أن البعض يمتلك حساسية ضد

الشرع والدين حين ندعوه إلى التمسك بتعاليم ومبادئ الدين، لذا أنا أدعو الجميع إلى التحصن ضد العري الفكري الذي انتشر كثيراً في أيامنا هذه ، وانبرى لرفع رايته كثيرون من الكتاب والشعراء والصحفيين بداعي الحرية والتفتح ، لأننا وببساطة لو تعلمنا وعلمنا أولادنا أن هذا التعري في غير موضعه (الذي هو بالضرورة في خلوة بين الزوج وزوجته فقط) إنما هو تعري عبثي ضرره أكثر من نفعه ، وأن الحياة تحوي الكثير مما يجب علينا التفاعل معه ، وتشتمل على الكثير مما ينبغي أن ننجزه في رحلتنا القصيرة في دنيانا هذه ، وإن المجد لم يكتب لعاهرة أو ساقط بل كتبه فكر رجال ونساء عرفوا كيف يتعاملوا مع معطيات الحياة ، ويستروا عقولهم بثقافات وخبرات أسست لمجدهم وخلدتهم ، وهم لم يهملوا جانب العاطفة أو الاستمتاع في حياتهم ، ولكنهم قدروا له قدره وعرفوا من خلال إعمال فكرهم في الأمر كيف ينحو العري جانباً وكيف يسطرون صفحات من المجد.

الـمـلـل

من منا لم يشعر به أو يحس بوطأته ، ذاك الشعور الطاغي الذي يخرجنا عن هدوئنا ويزرع فينا بذور التمرد التي تنبت وتترعرع ، وقد تستمر في النمو وتتعملق حتى نصير غير قادرين عل كبح جماحها ، وأحيانًا تزوي وتذبل وتعود بنا إلى قفار الملل من جديد، وفي أحيان أخرى تطلق منا إبداع وتحرك المياه الراكدة والحياة الساكنة التي انطمرت خلال سنين عمرنا، فتفجر ينابيع السعادة وتطلق ألق الشعور بالحياة ، وتغير بتدفق الأمل في العروق كل مناحي وطرق عيشنا إلى الأفضل، والملل لا يخرج في وصفه عن ثلاثة ؛ أما قاتل يدمرنا أو دافع يفتح لنا آفاق النجاح ويبدل عيشنا إلى الأفضل، وأما الغالب فهو يحرك ركود حياتنا هنية ثم ما يلبث أن يستولي على أحاسيسنا من جديد.

قليل هم من يتخذون من رماد الملل قاعدة لإشعال جذوة الأمل في القلوب وتبديل الواقع المر ، حيث أن هذا يستلزم أنفس سوية ، وثقة بالنفس وطاقات مخزنة تنتظر لحظة الانطلاق، ويسبق كل هذا إيمان بالقدرة على إحداث الفرق، فإذا توافرت تلك المقومات في أي شخص كان، نجده قد أضاء

شعلة الأمل وقفز قفزات في طريق النجاح ، وحول ساعات الملل إلى تراكمات من النجاح والبهجة، واستثمر طاقة الكبت التي اختزنها ملأً لتكون وقودًا رائعًا لرحلة نجاحه ، ودافعًا لبدء مشواره مع السعادة والراحة النفسية.

والملل من أهم صفاته إنه لا يفرق بين الغني والفقير ، ولا الشيخ والطفل أو الرجل والمرأة ؛ فهو يصيب الجميع على تفاوتهم، فقد يمل الغني من حياته أو المرأة من كونها امرأة والعكس، كما قد يملّ الشيخ من طول عمره، أو الطفل من كونه طفل، وهو هم يستولي على النفس ويتلاعب بمشاعرها وينكس رايات الفرح لتحل محلها غيوم الحزن وتطبق الكآبة على الصدر، فلا يستطيع الشخص أن يكون فاعلاً بل يستسلم لهمه، ويقعده هذا عن الشعور بجمال الحياة، فينعزل رويدًا رويدًا حتى يصبح مهمشًا ضائعًا ، لا تفلح يد السعادة أو النجاح من الاقتراب منه.

لعلنا جميعًا نمر بهذا الشعور من وقت لآخر لكن الاختلاف ربما يكمن في نجاح البعض في تخطي هذا الشعور بالملل ، ونجاح آخرين في اتخاذ هذا الشعور دافع كي يعبروا لساحات الحلم ، عبر ما يوفره من طاقة للتمرد على الوضع وإشعال رغبتهم في إحداث التغيير الذي ينقذهم من شعورهم بالملل، وهذا هو لب الاختلاف بين الفريقين ، فمن يتخذ من طاقة

التمرد على الوضع المعاش عونًا لتخطي هذا الواقع ؛ ينجح بنسبة كبيرة في الانعتاق من بوتقة الملل التي يظن أنه أصبح حبيسها ، ومن يحاول فقط أن يبدد غيم الملل بالهروب أو التناسي أو معالجة حالة آنية ؛ ما يلبث أن يعود أدراجه فيقع في هوة الملل من جديد.

وقد يكتفي البعض بإحداث بعض التغييرات الظاهرية سواء أكانت في الشكل أو المحيط ليشعروا بالتغيير، وهذا يوفر لهم فرصة للفكاك مما يسببه الملل من ألم وتنغيص ، لكنهم لا يلبثوا أن يصيبهم الملل من جديد لأنهم إنما بدلوا الظروف المحيطة ولم يتطرقوا للجوهر، وآخرين يدركوا أن خلاصهم إنما يكمن في التغيير الجذري، وهو وإن كان يستلزمه بعض الوقت إلا إنه يمثل العلاج الناجح الذي يقضي على أسباب ومسببات الملل فتتغير حياتهم كلياَ، وقد لا يعاودهم هذا الشعور أبدًا، أو على أقل تقدير قد يعاودهم بعد سنوات وسنوات من الراحة والسعادة كونهم بحثوا ودرسوا الأسباب ، وحاولوا أن يقضوا على جذور المشكلة.

وربما نجد أن من لديهم خلفية روحانية، ويقين بالقدر وإيمان بالغيب هم أقدر الناس على تخطي سقطات الملل التي تشق الصدر وتجعل النفس كأنما تصعد للسماء من شدة ما تعانيه من ضيق ، ذلك لأن الإيمان بالقضاء والقدر وتسليم الأمر

للمولى عز وجل، والتطلع لحيازة الأعمال الصالحة التي توجب الفوز بالآخرة؛ لا تدع أمام هؤلاء فرصة للشعور بالملل، وإن حدث فرغبتهم الأكيدة وتطلعهم إلى آفاق الغد تزيل عن قلوبهم شوائب وإرهاصات بدء الشعور بالملل، أما شعورهم بقصر الحياة فهي التي تدفعهم لمواصلة العمل والرغبة في النجاح يوم بعد يوم، وهم يتطلعون لما بعد تلك الحياة القصيرة، فتنتفي لديهم أي علامة من علامات استيلاء الملل على فكرهم أو تغلغله في ثنايا نفوسهم.

الحُـزن

يمارس البعض فلسفته الخاصة تجاه الحزن ؛ إما بالتجاهل أو الكبت أو الصراخ ، ونتفق على مقولة يعتبرها البعض أمر مسلم به ؛ ألا وهي أنه الشيء الوحيد الذي يولد كبيراً ثم يصغر ، ونهمل إكمال التعريف أنه الشيء الذي يترك ندوب وعلامات على النفس والقلب ، الشيء الذي يعتصر الروح فلا تعود كما كانت قبل أن يمر بها ، ولعل الحزن الذي يخلفه الموت هو أشد أنواع الحزن إيلامًا ، وأكثرها شراسة في مهاجمة القلوب وذبحها بقسوة وبلا هوادة ، ولعل بعضنا بل أكثرنا قد ذاق مرارة هذا الحزن بموت عزيز أو قريب.

الموت الذي يمثل ذروة سنام الحزن هو ذاك الشيء المحير الذي ما آتى به الله تعالى في كتابه العزيز إلا مقرونًا بالحياة ، كما الليل والنهار فهو برغم قسوته ضرورة لتكون بعده حياة ، وهو كما ذكرنا المتسبب الأول والأهم للحزن ، ويتحكم في حجم الحزن الذي يعترينا بسبب الموت مدى قرب من فارقنا لقلبنا ، كما أنه يحدد صورة الحزن التي تكون متعددة ، فنرى من يحزن ولا يذرف ولو دمعة واحدة ومن يغرق الدنيا بالدموع ويصم الآذان بالنحيب لفراق حبيب ، ويقول علماء النفس إن الحزن المتفجر والذي يستطيع صاحبه أن يعبر عنه

هو أيسر أنواع الحزن وأقلها تأثير على القلب والنفس، ذلك لأن صاحبه يستنفذ طاقة الحزن المختزنة بالتعبير عنه، أما من يكتم حزنه فإنه يشقى به ويعتصره الألم، وقد لا يفارقه حزنه إلا بتفجر حزن أكبر في قلبه أو بالتعبير عنه ولو بعد حين.

والحزن هو الشعور الأكثر ظهور في صور متعددة، فهو إما حزن مرير وقاسي أو حزن يشوبه غضب أو حزن يتلبسه الشجن، والأول غالباَ ما يكون نتيجة لحدث جلل يغيِّر حياة الإنسان وطريقة عيشه ويترك أبلغ الأثر على نفسه، وتطول مدة معايشة هذا النوع من الحزن وتؤثر سلباَ على من يصاب به مهما كانت قوة عزيمته وشدة شكيمته، أما النوع الثاني والذي يشوبه الغضب فهو وليد حدث عرضي ويظهر أكثر لدى أشخاص بسطاء يتعاملون مع ظاهر الحدث في الغالب، وسرعان ما ينجلي حزنهم بمجرد زوال السبب، أما النوع الثالث فهو حزن خفيف في الغالب لا يكون له سبب محدد وتمر النفس البشرية به من آن لآخر، خاصة الأشخاص ذوي الأنفس الرقيقة والأحاسيس المرهفة، وكثير ما يصاب به الأدباء والكتاب، وهو نوع غريب من الحزن ليس له سبب محدد، لكنه حالة من حالات الشجن تقترب من حدود الاكتئاب والانطواء على النفس، لكنها وبلا مقدمات تنفرج ويخرج منها صاحبها معافى.

والحزن كشعور إنساني مثله مثل باقي المشاعر والأحاسيس الإنسانية التي جبل عليها البشر ، وكما هو الحال مع باقي المشاعر الإنسانية الأخرى ، فقد بين الله عز وجل وبينت السنة النبوية المطهرة سبل معالجة هذا الحزن مهما كانت صورته..

فبداية نحن مطالبون بأن نكون في هذه الدنيا كالمسافر الذي استظل بظل شجرة ساعة ثم ارتحل ، فما يضره ما حدث في تلك الساعة وهو المسافر إلى ربه وإلى الدار الآخرة ، وهو توجيه نبوي أتى على لسان رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، ثم تأتي آية كريمة تبين كشف الحزن مهما بلغت درجاته (الغم وهو أقصى درجات الحزن) عن أي إنسان بمجرد قراءتها - وقد جربت هذا شخصياَ ونجح في كشف الهم عن قلبي في كل مرة- كما جاء على لسان رسول الله يونس عليه السلام في سورة الأنبياء: إذ قال تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَات أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) صدق الله العظيم.

فعلاج الحزن مهما كان نوعه وقدره وقوة تأثيره بسيط ، ودرجة بساطته تتحكم فيها عوامل ؛ أهمها قوة إيمان الشخص وشدة تعلق قلبه بالله وهوان الحياة الدنيا بزينتها ومتاعها على نفسه ، وإدراك أنها مجرد متاع وزينة وتفاخر وتكاثر بين

الخلق في الأموال والأولاد، متاع نأخذ منه بقدر ما يقيم حياتنا ويضمن لنا حظ من السعادة والهناء وتطبيق شرع الله في إعمار الأرض وتحقيق سُنّة الله في خلقه، وتأدية ما علينا من عبادة هي في الأصل سبب خلقنا ووجودنا على الأرض، (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ...) الآية... صدق الله العظيم.

فهل نوقن بعد هذا أننا نستطيع هزيمة الحزن والعيش في سلام بمنأى عنه بعدما عرفنا طريقنا لهزيمته؟.

الإيثـار

من منا لم يسمع بهذه الكلمة؟، ربما نحن جميعًا سمعنا بها أو مرّت على خواطرنا يومًا، لكن السؤال الصحيح من منا من عرف المعنى الدقيق والعميق لها؟.

قليل من يعرف للكلمة حقها ويدرك عمقها وما يحيطها من وهج ووميض يخطف العقول قبل الأبصار، يزعم البعض أن هذا المعنى قد اندثر مع لهاث الحياة وتفشي الأنا وحب الذات في مجتمعاتنا، وأنا لي رأي مخالف لهذا كلياَ، فالطبيعة البشرية بما جبلت عليه من صفات خيرة وشريرة وترك لها الباب مفتوح كي تقرر بنفسها أي طريق تسلك، في اختبار يعتبر الأطول من نوعه على مدار عمر البشرية، وحتى يقضي الله أمراَ كان مفعولا.

هذه الطبيعة البشرية ذاتها تحمل في دقائقها هذا المعنى السامي والفضيلة الراقية، وكما نجد أن البيئة المحيطة بأي كيان بشري تشكل قناعاته ووجدانه، فتبرز بعض الصفات والخبايا فيما تطمس على أخرى لتخرج لنا تشكيلات متفردة من البشر يتميز أحدهم عن الآخر، فإن هذه الصفة من مجمل صفات نجدها بارزة لدى البعض ومختفية أو مندثرة لدى آخرين.

وأرى أن من يتهم غيره بالأنانية وعدم الإيثار يجب عليه أن يواجه نفسه في البدء ليدرك أنه هو نفسه لا يحكم مبدأ الإيثار حين يطالب من حوله به، وينسى أو يتناسى ذاته، لو أن كل منا آثر غيره على نفسه وعلى محيطه لوجد ذاك المجتمع المثالي المترابط القوي، لكننا في الغالب نبحث عن أي نقيصة لننسبها لمن حولنا، وينسينا انشغالنا بمن حولنا كهاجس مُلح أن ننظر إلى أنفسنا ونراجع تصرفاتنا، فندور في حلقة مفرغة من كيل التهم بعضنا لبعض، وننسى الأصل في المشكلة.

الإيثار بمعناه الدقيق يعني تفضيل مصلحة الغير على مصالحي مشاعر الغير على مشاعري، وهذا يتطلب قدرة غير عادية في إنسان عصرنا الحالي الذي استلهم كل ما صدرته وسائل الإعلام من حرص وأنانية وحب للذات، وأصبحت عقيدته الأساسية مؤسسة على أنا ومن بعدي الطوفان إلا من رحم ربي، لكننا هنا نتحدث في العموم، لذا وجب علينا من آن لآخر أن نذكر أنفسنا بفضائل طمست في الذاكرة، حتى بات حدسنا ينبئنا في كثير من الأحيان أنها لم تكن موجودة أصلاً، فارتبط هذا ذهنياً لدى الكثير باستحالة ممارسة ما لم يكن موجود بالأساس، وتلك هي المعضلة التي نحاول أن نحلل تفاصيلها لنصل إلى نقطة البداية، التي تؤصل لوجود السجايا والفضائل التي طمست بفعل اللهاث المحموم لتلبية الرغبات مع تعطيل المشاعر والفكر دون أن نعي أننا نلهث للوصول إلى الهاوية.

الضمير

لا أحسبني مبالغًا إذا قلت إن كل مشاكلنا يكمن في ثنايا أحرف هذه الكلمة ويتغلغل خلف معناها ، ورغم بساطة هذه الكلمة إلا أنها تحدد وبشكل قد لا يتصوره كثير طرق الحل لأصعب وأدق المشكلات التي تواجهنا على مستوى الأفراد والجماعات ، على المستوى الشخصي وعلى المستوى الدولي.

فالضمير الإنساني يتشكل من مجموع توجهات ضمائر الأفراد في منطقة ما ، وحين يكون الضمير يقظًا ينعكس هذا على الحكم الذي تخلفه النظرة الفردية والجماعية للفرد والمجتمع الدولي تجاه أي قضية، والضمير لا يكون حكمًا عادلاً إذا حالت بين صاحبه والحقيقة رؤى خادعة ، أو زيفت الحقائق بغرض التضليل والتدليس ، أقول هذا لأن ضمير المجتمع الدولي ظل مغيباَ لسنوات فيما يخص القضية الفلسطينية بعدما نجح العدو الصهيوني في حجب الحقائق وتضليل الأنفس لسنوات ، حتى عمت العولمة الإعلامية وصار العالم بفضل الثورة في مجال الاتصالات والمعلومات قرية صغيرة ، لا يستطيع أحد أن يخفي الحقيقة فيها.

ورغم الذي حدث فمازال هناك زعماء مغيبون ورؤساء وملوك وأمراء واهمون، يمارسون الدجل ويصدقون كذبتهم ويطمعون في الاستمرار والخداع رغم تساقط الزيف وهشاشة مواقفهم ويقينهم بزوال حكمهم في أية لحظة ، وقناعتهم أن موت ضمائرهم وضمائر من حولهم لن يحول دون سقوطهم وتهاوي عروشهم الهشة ، التي تقوم على دعامات الظلم والقهر والبطش، وفقر رعاياهم الذي يقصم الظهور، فتعانق الانحناء ولا تستطيع أن تستقيم لتقف في وجه الظلم.

قلت وأكرر إننا كبشر إذا ملكنا ضمائر يقظة تلاشت كل مشاكلنا وانعدمت خطايانا ، فحين ينظر الأخ لأخيه وضميره واعي لن يستطيع أن يمارس الظلم ولن يقدم على اغتصاب ما ليس حقه ، ولن يمد السارق يده لجيب أحد ولا المرتشي سيقدم على طلب الرشوة، ولن نجد قاتل واحد، فحين يصحو الضمير تختفي آفات المجتمع وتتلاشى جرائم أفراده وينصلح الحال على مستوى الأفراد والمجتمع ، ومن ثم ينصلح حال الساسة حتى يصل حال الصلاح إلى رأس الهرم في السلطة..

إذن فالضمير هو المحرك الرئيسي لدورة صلاح الحال في المجتمعات قاطبة، ولأن الضمير في غالب الأحوال يبقى مغيب أو نائم فإننا نعاني على المستوى الفردي ، بل وعلى مستوى المجتمعات من تفشي حالات الظلم التي تولد مشكلات تتنامى

وتتوالد بشكل مطرد، فلا نعود نعي السبب الأساسي للمشاكل، فيتعذر إيجاد الحل لتعقد المشاكل وتراكبها فوق بعضها وتشابك مسبباتها، فنمكث تائهين لا نجد حل ولا نرى مخرج.

وأنا أكاد أزعم أنه ما من إنسان على وجه البسيطة لا يعي للضمير معنى ولا يعرف قيمة أن تكون مرجعية قراراته قاطبة هي ضميره الواعي واليقظ، لكن المشكلة تكمن في تعارض ما يمليه الضمير على أي كان مع مصالحه، فينحي ضميره جانباً ليظفر بكل منفعة يراها في صالحه وليذهب ضميره إلى الجحيم، وليس هذا هو حال الجميع لكنها حال الغالبية العظمى من بني البشر، وينطبق هذا على القرارات الشخصية والقرارات التي يتخذها أصحاب الحل والربط من ولاة الأمر في كثير من الدول.

وإذا كانت نتائج اتخاذ قرار فردي تعود بالضرر على شخص أو عدة أشخاص، فإن المصيبة تكمن في تجرد ولاة الأمر من ضمائرهم حال اتخاذهم قرارات تؤثر بطريقة مباشرة في حياة ملايين البشر، ممن يرزخون تحت حكمهم، وتعرضهم لنتائج قد تصل لإنهاء حياتهم في بعض الأحيان نتيجة لقرار اتخذ ولم يراعِ فيه ضمير أو يردع صاحبه وخز وهو يتخذ القرار.

يحدث هذا ويتكرر كل يوم مع شعوب في شتى بقاع الأرض،

ولا يتعظ أصحاب تلك القرارات ولا نراهم قد أحسوا بالندم أو تعلموا من نتائج وئد ضمائرهم ، بل إنهم يتمادون يوم بعد يوم، ولا أجد سبيل لردع هؤلاء وكفهم غيهم إلا بالضرب على أيديهم والثورة على حكمهم الجائر.

ودليلي على هذا من السنة المطهرة التي ورد فيها على لسان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ما معناه أنه يجب على كل مسلم إن رأى أي منكر أن يغيره وعدد سبل التغيير ليؤكد على وجوبه، فتارة باليد وتارة باللسان الذي يعدل هنا الكتابة ، وتارة بالقلب إنما وجب الإنكار والتغيير، ولا يعذر أي كان في الصمت والتغاضي لأنه يساهم بصمته في تفاقم حدة موت الضمائر، وازدياد حالات الظلم وانتشار كل الآفات التي تقضي على المجتمعات وتقوض دعائم العدل على وجه الأرض.

الشِّجار

شجر يشجر شجارًا، من التفاف الأفرع وتشابكها، ويكنى به عن التشابك بين بني البشر، وليس الشجار دومًا بتشابك الأيدي وحمل الأسلحة؛ بل إنه قد يكون بالتلاسن والتراشق بالألفاظ والتهم، وفي عصر أصبح فية الفضاء مفتوحًا أمام الجميع فإننا نجد أن المجال أصبح رحبًا لمثل تلك المعارك، والشجار سواء كان عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة أو المقروءة ورقية كانت أو إلكترونية.

وقد نترك ما يتعلق بوسائل الإعلام المرئية والمسموعة جانبًا، ونعمد إلى ما يكتب سواء في الصحف أو عبر صفحات الويب، وخاصة هذه الأخيرة، حيث أن الحكم الوحيد لأي شخص يقدح أو يمدح يكون الضمير، فالكثير يكيل التهم ويفتعل المشاكل ويتهيأ للشجار، لا لشيء إلا لأنه لا يريد لأحد أن يختلف مع وجهة نظره التي يطرحها، وهيأ له غباءه وضيق أفقه أنه الوحيد الذي يرى الحق ويدرك كنه كل شيء.

هذا النموذج وجدته يتكرر أمامي كثيرًا، وهو يُظهر جليًا فكرة عدم تقبل الآخر سواء كان هذا الآخر على خطأ أو صواب، لأنه لا يسعى إلى إدراك الصواب بقدر ما يسعى لإثبات إنه هو

المحق الوحيد وهو صاحب الوعي والإدراك العالي والفكر الثاقب، ولعل هذه ثقافة قد زرعت في بعضنا قهراَ على مدار سنوات من الحكم الدكتاتوري الذي كان ينتهج نفس النهج، فبات تلامذته على خطاه دون وعي أو إدراك أن هذا النسق من التفكير والتصرف لا يفيد ولن يصل بصاحبه إلى أبعد من أرنبة أنفه.

والغريب أنني أرى البعض لمصلحة معينة أو لجهل مطبق أو لعلاقة مشبوهة بينه وبين صاحب هذا الفكر يصفق منتشياَ وهو يشد على يديه ويؤازره بشدة، متناسياَ أننا جميعًا في سفينة واحدة، إذا لم نضرب على أيدي خارقيها فسنهلك جميعًا، أما إذا نبهنا واستوقفنا من يغالي ويتمادى في غيه فإننا سننجو جميعًا، وليست المسألة بالشجار وعلو الصوت والتمادي في القدح والتهجم بقدر ما هو بالإنصات والتحاور والتعقل، الذي يصل بنا جميعًا لبر الأمان، خاصة ونحن من نوصم بمثقفي الأمة.

الصمت

أبلغ تعبير وأقوى إحساس ذاك هو الصمت، يغني في كثير من الأحوال عن جبال من الكلمات ، حتى شرعًا استعيض عن الكلام فيما يخص أهم قرار في حياة أي أنثى بكر بصمتها ، ليعبر كأفضل تعبير عن قبولها بالزواج ممن يعرضه عليها أبيها، الصمت من أجل وأعظم الأساليب التعبيرية ، والصمت أي السكون وعدم التلفظ قيل فيه الكثير، ولعل أبلغ ما قيل فيه إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، لأن الصمت كالصدق منجي في كثير من الأحوال ، وكم من أناس عظماء سقطت هيبتهم بمجرد أن نطقت ألسنتهم ، والصمت نعمة كبيرة أحيانًا وليس في كل وقت ، المهم أن يدرك المرء متى يصمت ومتى يتحدث، وقد قيل فيما مضي سكت دهراََ ونطق كفراََ ، حين يصمت الشخص في موضع الكلام ويتحدث بعد طول صمت بالفحش.

والصمت في كثير من الأحيان يغني عن البوح حين يتعلق الأمر بالمشاعر فصمت اللسان يعطي الفرصة للعين كي تبوح بما هو أرقى من أي لفظ قد يتشكل ويخرج عن طرق الشفاه، بل إن الصمت يعطي لكافة الأحاسيس الأخرى الفرصة كي تعبر بطرق

أكثر طلاقة عن حالة الإنسان ، وهو يهيء المتلقي كي يصفي ذائقته ومشاعره، كي يتفاعل ببهاء مع كل همسة أو لمسة أو حتى نظرة.

والصمت في كل الأحوال تدبر وفكر ، استعداد وتماس مع الصدق، فآفة اللسان في كثرة الكلام والسقوط في الزلل ومقاربة الخطأ والسقوط في حبائل الكذب ، أما حين نعانق الصمت فإننا نتلمس طريق الصدق ونحن نفكر في عواقب البوح إذ مسه خبث الكذب فينجينا الصمت من الوقوع في براثن الهاوية.

والصمت إذا تعطر بفكر وتدبر وازدان بأناة وحلم وحفته المشاعر المرهفة والصادقة من جوانبه صار صمت نوراني ، يحلق بصاحبه في فضاءات الألق ويمنحه فضيلة التفرد ويضفي عليه مهابة ترفعه في أعين أعدائه قبل أصدقائه.

الصـــواب

حين نتحدث عن الصواب فإننا نتحدث عنه من وجهة نظرنا نحن ، وطبقًا لما درجنا عليه وتعلمناه ، وحسب القيم التي نشأنا عليها والعادات التي توارثناها ، لذا نجد أن مصطلح الصواب هو مصطلح متغير تبعًا للبيئة التي نطرحه فيها وطبقًا للتعاطي مع مفردات الحالة العامة في تلك البيئة ، وكما قيل رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيك خطأ يحتمل الصواب، فهذه مقولة منصف وضع بعدالة ميزان وقاعدة تحتذى ، وأظهر بجلاء احترامه للآخر.

وفي رأيي المتواضع أرى أن مشكلتنا الحقيقية تكمن في عدم تقديرنا للآخر أو لرأيه ، وقصور نظرتنا دومًا على وجه واحد هو رؤيتنا المحدودة للأمر، وتغاضينا عن محاولة رؤية الأمر من أي جهة أخرى أو منظور مختلف ، وهذه سمة للتفكير القاصر والمحدود، وعلامة على جهلنا المطبق وضيق أفقنا الذي يتحكم في نظرتنا للأمور ويجعل فكرنا ذي اتجاه واحد محدد ومحصور، لا نستطيع من خلاله الانفتاح على الآخر مهما كانت قيمة تفكيره أو قدرته على الإبداع والتطوير.

ونحن كمجتمعات وأمم يقاس قدر تقدمنا بقدرتنا على تقبل

الآخر وفهمه والاستفادة مما يقدمه وما يطرحه من أفكار، بل ومحاولة المزج بين الصواب فيما يطرحه وما نعتقد صحته لنخرج بنتائج باهرة ، وكم من مجتمعات بل ودول فقدت مصداقيتها وتأخرت عن الأمم الأخرى حين تعرت وفضح أمر زيف إدعائها، وكم من أمم عظم شأنها حين ثبتت على نهجها ودافعت عن قناعتها بإتاحة الفرصة للآخر وللأصوب أن يسود دون ادعاء أجوف أنها الأحق والأقدر والأعظم.

وإذا كان هذا يتضح بجلاء فيما يخص الأمم والمجتمعات لوضوح الصورة وكبرها وسهولة استقرائها ، فإن هذا أيضًا صحيح على المستوى الشخصي، وأنت حين تتيح للآخر أن يعبر عن رأيه وتناقشه فيه بموضوعيه فإما أنك تقنعه برأيك أو تقتنع برأيه الذي وقتها سيكون الأصح والأصوب، وحينها فأنت الفائز في الحالتين ، لأنك توصلت لقرار أو قناعة صحيحة وصادقة ، ولعل المثال الواضح على ما قلت ما يحدث بين الأبناء والآباء، فهناك دومًا وفي كل موقف اختلاف في وجهات النظر، ومع استبداد كل برأيه تظهر المشاكل وتستفحل، ففي أي موقف يرى كل منهما نفسه على صواب، وإذا قمنا بتحليل المسألة سنجد كلاهما على حق.

فطبقًا لظروف ونشأة وبيئة كل منهما مع المعطيات التي تساهم في تشكيل الوعي لدى كل منهما، وهي مختلفة على

الأغلب طبقًا لكل هذا؛ تتشكل قناعة معينة، وهي كما ذكرنا تختلف كلياَ وبطريقة تجعلهما على طرفي نقيض.

ورغم أنهما مختلفان تمامًا في تقديريهما ورأيهما؛ إلا أنك حين تستمع لكل منهما وتقيم تقديره تجدك على يقين من صحة ما ذهب إليه ، ولحل تلك المعضلة هناك عدة طرق ، أولها الطريقة السهلة والساذجة وهي طريقة فرض الرأي طبقًا لأي الطرفين أقوى ، وهي طريقة متبعة على مستوى الدول والمجتمعات والأفراد، خاصة إذا كان الطرف الأضعف لا يملك وسيلة أو حيلة، أو أن بقائه معتمد كلياَ أو جزئياَ على الطرف الأقوى.

ثاني تلك الطرق هو التصادم؛ وتحدث حين يزيد الضغط على الطرف الأضعف فيعلن رفضه ويتنمر، سواء كان تنمره يعبر عن قوة حقيقية أو قوة مفتعلة وادعاء فارغ، أو حين يشعر الأضعف بقوته فجأة ويريد أن يختبرها في معركة تكسير عظام، ولا يقدر على هذا إلا من يتمتعون بقدرة على المجازفة، وهي حالة تتعاظم على كل المستويات التي ذكرنا، سواء الأفراد أو المجتمعات أو حتى الأمم، ويغامر أصحابها بمستقبلهم وهم يعولون على رهانهم أن ينقذهم بعدما يكون اليأس قد تمكَّن منهم.

أما ثالث تلك الطرق فهي قراءة الآخر ومحاولة فهمه ونقاشه، بل وتقديم بعض التنازل للالتقاء معه في منتصف الطريق، دون أن نغالي في التنازلات أو نجحف حقه في المشاركة برؤياه فيما اختلفنا حوله، وهذه وإن كانت سمة معظم العلاقات الدولية بين الأمم إلا أنها تفلح كثيراً فيما بين الأفراد وبعضهم البعض، خاصة إذا كان الخلاف ناشئ عن اختلاف الأجيال، أو البيئة المحيطة التي تصور لكل طرف أنه صاحب الحق وصاحب الرأي الأصوب، كما بين الآباء والأبناء.

إذن فالصواب مسألة نسبية تختلف حسب نظرة كل طرف للمسألة المطروحة والتي يدور حولها الجدل، وإذا كان منطق القوة هو ما يحكم العلاقات الدولية بل وأيضًا العلاقات داخل المجتمعات وحسب قوة القبيلة أو الأسرة ونفوذها، فإن هذا المنطق ذاته لا يصلح حين يتعلق الأمر بالأفراد، لأننا هنا بصدد التعامل مع مشاعر وأحاسيس، مع كينونة بشرية تملك بجانب لبها قدر هائل من المشاعر الإنسانية والأحاسيس البشرية التي تسيطر على تصرفاتها وردود أفعالها، ولعل الاختلاف الواسع بين شرائح البشر يجعل من مسألة تحديد الأصوب أمر عسير، اللهم إلا إذا احتكمنا للضمير الإنساني وارتضينا به، سواء أظهر الحق لنا أو علينا.

الرضـــــا

تحدث كثيرون عن كُنه هذا اللفظ: فلاسفة ، منظرون ، رجال دين ، وساسة... واختلفت الرؤى ، بقي الرضا لُغزًا محيرًا ، كلما سألت أحد عنه اختلفت إجابته اختلافًا كليًا عن إجابة آخر.

الرضا يفسَره البعض أنه حالة من حالات الثبات وانعدام الطموح بشكل يؤدي إلى السكون والدعة وإلى التوقف عند نقطة معينة بداعي الرضا ، ويفسره آخرون على أنه مرحلة توقف لالتقاط الأنفاس ، والتحضير لمرحلة تالية بطموحاتها والأسباب المؤدية إليه ، أما رجال الدين فإنهم يثمنون الرضا ويعتبرونه من متممات كمال الإيمان ، كونه تسليم بالقضاء والقدر ودرجة من درجات السمو الإيماني، وأنا وإن كنت أعتبر أن هذا لا يكون في كل شيء وإنما يتوقف عند الغيبيات والتي لا دخل لبشر فيها، لأنني أعتبر الرضا بحال دنيوية أدنى لمسايرة هذا الاعتقاد ، إنما يكون استسلامًا وليس تسليمًا بقضاء الله وقدره، ويكون مدعاة للركون والسكون والتخلف عن الركب.

الساسة يرون الرضا نوع من المصالح ، فهم يوظفونه وقت الانتخابات بعروض وعطايا ووعود سرعان ما تذهب أدراج الرياح ، ويعتبرون معرفة ما يرضي الناس في وقت معين

وبطريقة معينة قمة نجاحهم كسياسيين، وهذا وإن كان يرضي غرورهم إلا أنه أيضًا لا يمثل الحقيقة، وفي عصرنا الآن يعرف الصغير قبل الكبير والجاهل قبل المتعلم أن ما يقدمه الساسة والمنتفعون إنما هو أحلامًا برّاقة ووعودًا كاذبة لا يتحقق منها شيء، لذا فإن أحلام الساسة كثيراً ما تتبخر جراء هذا التفتح والفهم والإدراك الذي عمّ الجميع، لكنهم ما يزالون يراهنون على بعض أصحاب العقول الناقصة، والمنتفعين والمتسلقين، وهم موجودون في كل زمان ومكان لا يخلو منهم عصر من العصور.

والرضا كسلوك نفسي جميل في حد ذاته، دون أن نبحر في تفاصيله ونلج بحره المتلاطم، والذي يعج بالكثير من المتناقضات، فكما ذكرت الرضا في أتعس صوره هو حالة من حالات الخنوع والضعف والاستسلام، لكنه في صورته القوية والسوية هو سلوك راقي يحمي من الطمع والجشع والحسد، بل يكون دافعًا لرفعة أي شخص يتفهم طبيعته ويعزم على ارتقاء طريق المجد بخطوات ثابتة، متوشحًا بسلاح الرضا الذي يحميه من قفزات الانتهازية، ويثبت قدميه عند هبوب إعصار الغرور، أو تسلط رياح الأنانية وحب الذات عليه خلال مشوار نجاحه وتحقيق أحلامه، فالشخص الذي يتمتع بالرضا ويعيشه بتفاصيله الصادقة ومعانيه السامية يحصن نفسه من الزلل

والوقوع في براثن اليأس، ويخطو بثبات على سلم النجاح دون أن يشعر أن ما ناله أقل مما كان يستحقه، بل يصنع نجاحاته وهو ينظر برضا وطيب نفس لخطواته ، ويتعلم من أخطائه غير ناقم على أحد، أو متهم الظروف المحيطة به بالتسبب في عرقلة مسيرته.

والرضا في نظري واحد من أهم أسباب نجاح العلاقات الإنسانية ، والتي كثيراً ما تنهار أو تضعف بسبب ضعف أو اختفاء هذا الخلق، فالرضا بما عليه أصدقائنا هو الحافز الأكبر للمحافظة عليهم ، والرضا بعيوب شريك الحياة ، مع محاولة إصلاح ما يمكن إصلاحه إن أمكن، هو من أهم أسباب استمرار ونجاح أي علاقة زوجية ، بل إن الرضا ببعض تصرفات الأبناء والصبر عليها ومحاولة إصلاحها دون غضب أو عصبية هو من أهم مقومات صلاح الأولاد ونجاحنا في تربيتهم ، لأن عدم الرضا يولد حالة من حالات الحنق والغضب، تحول بيننا وبين أن نرى الصورة بوضوح ، فينتج عن هذا خطأ في التقدير ، يجعلنا نفشل في علاج المشكلة أو في متابعة حبنا أو نثر مشاعرنا بود على قلوب وأنفس من نحب ، ونخسر الكثير ، بخسراننا لخصلة الرضا التي هي الأصل والأساس لكافة نجاحاتنا ، سواء على مستوى العلاقات الإنسانية أو طموحنا ونجاحنا العملي.

الحُــب

بحبك، بحبك

بحبكم، بحبه، بحبها

وبعدين

يعني إيه حب

ولد وبنت وشوق وسهر

تعب وسهاد عتاب وخصام

رضا أم، ودعاء ونظرة رضا من أب

عرفه الفلاسفة ورجال الدين واتفق على تعريفه البعض واختلف آخرون..

وبقي هو عاطفة دافئة بسمو معانيه وجمال وروعة تفاصيله..

* * *

الحب... ورغم كل شيء فإن هذه المعاني الكثيرة والمتشعبة للحب تبقى فروعًا لأصل واحد...
هو حب الله...

سيقول قائل: وما لهذا الذي تصف وتقول وحب الله؟

وأرد عليه : رفقًا وتمهل: حب الله هو الأصل في كل شيء

وسأثبت لك هذا من كبير الحب وعظيمه إلى بسيطه ودقيقه، وبداية: حب النبي محمد صلى الله على وسلم...

دعنا نتصور أن محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وأشرفهم منزلة عند الله لم يكن عبد صالح، ولم يكن نبي مرسل ورسول صادق بالمؤمنين رءوف رحيم ، أقول دعنا نتصور أو نفرض جدلاً أنه وبرغم أخلاقه الطيبة التي جبل عليها حتى قبل بعثته لم يكن نبيك... أكنت ستحبه كل هذا الحب الذي بقلبك له؟

ولن أجيب بل سأدعك تجيب...

حب والديك والذي هو في الأصل خصلة متأصلة وفطرة إنسانية ؛ لو لم يأمرنا خالقنا ببر الوالدين أكنا سنبرهم بعد كبرهم وثقل حملهم كما كنا نبرهم وهم أقوى وأصغر، أم أن كبر سننا كان سيجعلنا نقلل ونتراخى في هذا البر، وحبنا لمولانا هو الذي دفعنا لمواصلة الحب لوالدينا تقربًا لله ببرهم.

وما أعده الله لمن يربي أولاده فيحسن تربيتهم ويسهر عليهم ويحرص على تعليمهم القرآن من حسن الجزاء ، ألا يكون الحب لربنا هو الدافع لنا إلى مضاعفة حبنا لأولادنا، والحرص على مواصلة هذا الحب الفطري لصغارنا حتى بعد أن يشبّوا عن الطوق.

وما جاء به الشرع الحكيم من أحكام المودة والرحمة بين الأزواج وجزاء هذا عنده، ألا يمثل لنا هذا أيضًا دافعًا قويًا لمواصلة الحب والتراحم، ويكون سببًا في تعلقنا بمن نحب ونعشق، بل والصبر على ما قد يحدث ممن نحب من زلات طلبًا لرضا وحب العظيم الوهاب.

ألم أقل إني سأبرهن على أن حب الله مولانا وخالقنا عز وجل هو الأصل الذي يتفرع منه كل أنواع الحب التي نعرفها ونعيشها وتمثل الوقود الذي يسيرنا عبر برودة وقسوة الحياة، والنور الذي يرشدنا خلال ظلام المادية وعبس الأيام.

ولا يتأتى هذا إلا إذا كان منبع هذا الدفء وهذا النور صافيًا راقيًا متدفقًا، يفيض ليروي أفئدتنا ويجعلنا نروي عطش أنفسنا من أفرع الحب الباسقة من أصل الخير والإيمان المتمثل في حبنا لمولانا وخالقنا.

وأنا أكاد أجزم أن من لم يعرف حب الله ولم يستشعر هذا الدفء والنور في قلبه؛ لم يعرف ولن يعرف قيمة أو قدر أي فرع من أفرع الحب التي ذكرنا، وسيبقى كالعطشان الذي يشرب من ماء البحر لا يزيده شربه إلا عطشًا.

الـولادة

فسيولوجيَا هي خروج كائن حي من كائن آخر تدبّ فيه الروح، وهي منشأ لأي حياة تتهادى لتري النور، والعجيب هو أن الولادة كحدث لا يستلزم بالضرورة وجود حاضنة ، فقد يولد الإنسان وهو كامل ناضج في لحظة تنويرية تضيء له العالم من حوله ، كما حدث ويحدث مع من يجد طريق الهداية إلى الله، فتتغير حياته من شقاء وبؤس المعصية وضلال الانحطاط إلى رحابة سعة رحمة المولى بما تحويه من رحمات وتهبه من عطايا.

وأيضًا تحدث تلك الولادة للبعض حين يجد نفسه وقد أشرقت بضياء حُبً جديدِ، قد يكون حُب حفيد أو صديق وقد يكون حب حبيب انبثق من ظلام الوحدة وتيه الضياع لينير الطريق من جديد ، فيولد الشخص على يديه من جديد ، فيقبل على الحياة ويعيش اللحظة بفرحة مبهجة ويمارس الدهشة طقوس سامقة والحياة عيش فاعل بعد أن كان يعيش خاملاً رافضًا لمظاهر الحياة من حوله.

رغم أن كل أنواع الولادة هي بعث لحياة جديدة وجميعها ينبع من القلب ويفيض ليعم سائر الجسد، إلا أن الشائع لدى

الكثير من البشر هو ولادة ناتجة عن مشاعر آسرة لقلب يخفق بثبات بعد أن كاد الثبات والحزن يقتله، ولادة حياة في قلب من يشع نور حبيبه على أرض قلبه فتنتفض العروق حياة، وتزهر الروح وتنبت السعادة على المسام، وتفيض أنهار الود والبشاشة، فترى السعادة وقد عانقت العينين، والسكينة وقد اكتسيت الملامح بها، والسمو وقد عانق كل حركات وسكنات المحب.

هي ولادة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فهي لا تعني بتغير هذا الكائن من حال إلى حال بل تشكل إنسان جديد كُلياَ، إنسان ولد من رحم الفضائل وشذبت ملكاته بفعل نور الحب الذي أضاء نفسه، والسكينة التي عمته جراء عشقه لكيان وجد فيه سعادته وشاركه نفسه وروحه بكل نبضة وخفقة قلب، فتمازج الروحان ليعشقا سوياً كل شيء وأي شيء دون أن يكون هناك اتفاق مسبق أو مكتوب.

وأنا لا أعجب حين أسمع هذا التعبير من أحد المحبين (لقد وُلدت من جديد)، لأني على قناعة بما يقول، وقد جربت هذا الشعور فخبرت مدى صدقه ورسخت عندي القناعة حين عايشت هذه الولادة التي شملت نفسي بالتطهير الداخلي وخلقت مني إنسان جديد ولد سعيد.

المطر والشجن

صنوان هما المطر والشجن ، المطر دموع السماء التي تفيض لتغسل أنفسنا، وهدر الرعد الذي يحاول أن يوقظ في دواخلنا صوت الضمائر التي غفا بعضها ومات أكثرها ، برد يذكر القلوب التي تناست دفء المشاعر، ويعيدها إلى زوايا الحب التي هجرتها ، قطرات مطر تعزف أجمل لحن فوق أسقف البيوت وعلى أرصفة الشوارع، ثم تعانق زجاج النوافذ في ود، تناغم رائع بين الشجن الذي يعترينا مع هطول المطر، وبين أنفسنا التي تتوق لهذا الشعور الهادئ كما تتوق لممارسة صخب الحياة بعنفوانها ، المطر مطر لكنه ليس كذلك لكل البشر فهو لساكني الصحاري خير وبركة تعم وفضل ينتظرونه من موسم لآخر، وإذا تأخر ولو قليلاً يرفعون أكفهم ضارعين لله عز وجل أن ينعم عليهم بهطوله.

وهو لقاطني المدن وبخاصة اللاهثين وراء المال والمنشغلين بدوامة العمل والساعين إلى تحصيل الأموال وتكديسها ؛ لا يعدو أن يكون وبالاً ومشكلةً وتعطيلاً لمصالحهم ، لكنه بالنسبة إلى كثير من الكتاب والفنانين هو نبع إلهام، هو وقود المشاعر التي يفجِّرها من رحم الشجن المصاحب للمطر ،

وحميمية الدفء الذي يدخلنا حين نسعى هرباً من برد يصاحب المطر في غالب الأحيان، فنلتف حول جذوة أو تحت دثار صوفي، ونتقارب أكثر ونحن نتلمس دفئًا نفتقده، وهو غالبًا ما يكون دفء مشاعر أكثر منه دفء أجساد.

عن نفسي أعشق الشواطئ شتاء، وأعشق موج البحر وهو يعانق المطر بعد طول شوق، فيتطاول ويهدر فرحًا بلقاء زخات المطر وغضبًا لتأخر هذا اللقاء، وأكاد لا أشعر بالوقت وأنا أنظر لهذا اللقاء الحميم بين موج البحر الذي أعشقه بقدر عشقي لقطرات المطر، وتعتريني موجات من شجن تفجر الأحرف على طرف سن قلمي فتنهمر الكلمات ويتدفق شلال الحس من بين أصابعي التي تبحث عن الدفء، وتتوارى في دلال من حبات المطر التي تتناثر في فرح طفولي، معلنة عن انتهاء وقت القحط الفكري وبدء موسم الفيضان.

أكثر من عرفت تأتي روائعهم التي تجود بها قرائحهم عبر مواسم المطر، ربما هذا الطقس الذي يعانق الهدوء ويقترب من جزر الحزن الهادئ ويصاحب تلك المعزوفات السماوية التي تتشكل من زخات المطر وصوت الرعد، مع غياب لوهج الشمس الحارق وسيطرة الغيم على الأجواء، كلها أمور تساعد على خلق جو من الرومانسية الناعمة التي تسيطر على الفكر فتنساب الأفكار بيسر ودون جلبة، وتتعانق المشاعر الدفينة

مع هذا الهدوء الذي يكتنفه شجن محبب لتخرج أرقى المعاني وأنقى المشاعر.

رغم أن الكثير تغنوا بالربيع وكثير أيضًا يعشقون الصيف بما يحمله في ذاكرتهم من ذكريات طفولية محببة تقترن بالعطلات والمرح واللهو والانطلاق عبر الشواطئ والمتنزهات وممارسة أقصى درجات الحرية ، إلا أنني أرتبط تاريخياَ مع الشتاء والمطر، وأعتبر أن أجمل لحظات حياتي مرت حين كنت أمر بتلك الأوقات التي تصاحبني فيها زخات المطر مع الإحساس بدفء المكان في ليالي الشتاء الباردة، بل إنني أكاد أجزم بأن أجمل رحلاتي ومرحي عانق تلك الآونة التي حفرت في الذاكرة بما حملته من ألق وتفرد.

الأنانيـة أروع إحسـاس

كنت أستمع بدهشة لأستاذي وهو يردد تلك العبارة، ومكثت طويلاً قبل أن أتوجه إليه باستفساري عن تلك العبارة، وبدا وكأنه ينتظر سؤالي هذا من زمن، ابتسم وهو يرمقني بنظرة المنتصر وصمت قليلاً قبل أن يرفع ناظريه إلى السماء محدق في الأفق، ثم انسابت من بين شفتيه الكلمات هادئة رصينة:

أتعرف ما هي الأنانية بالتحديد؟ لم ينتظر إجابتي بل أكمل هو قائلاً: هي حب الذات... صمت برهة وهو يتطلع لوجهي ثم أردف: حب الذات يجعلك تحرص على ألا توردها موارد الهلاك، فأنت حين تحب نفسك تتحلى بمكارم الأخلاق كي تسمو بين الناس، وترضي خالقك فتنعم برضاه، وتحصل حسن الجزاء، ولا يتأتى هذا إلا إذا كنت موغل في الأنانية وحب الذات بطريقة إيجابية فاعلة وليس بطريقة سلبية كما ينظر دومًا للأنانية التي تعني الاستحواذ على كل شيء، فالأنانية مثلها مثل كل شيء وجد في هذه الحياة الدنيا له وجهان؛ وجه إيجابي ووجه سلبي.

الخلاصة إننا حين نتحلى بخلق الأنا ونحن مرتكزون على قيم متأصلة، نعي شرع الله وندرك لحقيقة مفادها أن رفعتنا تنبع

من الحب، فإذا أحببنا أنفسنا أحببنا بالتبعية من حولنا وكل ما حولنا، وبهذا نكون قد وضعنا أقدامنا على بداية طريق يوصلنا ليس فقط إلى محبة كل من حولنا بل وإلى تحقيق معادلة المجتمع الفاضل الذي يعيش على أسس من الحب والود، الذي يخلق علاقات متميزة ومتينة بين أفراده، فيرد إلينا هذا الحب فيض من التعاون، وكلما زاد الحب الذي يدفع الإنسان؛ زادت قدرته على التفاعل الإيجابي مع كل ما يحيطه المكان والخلق النابض بالحياة أيًا كان، نبات أم حيون وطير وصولاً إلى البشر.

بمعنى أدق إننا لابد أن ندرك أن دائرة الأنانية يجب أن تتسع باستمرار، فهي تبدأ عادة بحب النفس، والإثرة، فإذا توقفت عند هذا الحد تكون مؤذية وتضر صاحبها أكبر الضرر، أما إذا وعي صاحبها المعنى الأجل لها فإنه يسعى لكي تتسع تلك الدائرة لتشمل أسرته، ومن بعد ذلك مجتمعه ثم وطنه ومن ثم تتسع لتشمل أمته وربما عند البعض تتسع الدائرة لتشمل البشرية، وأخيراً الكون بكل ما يحويه من حياة، وعندها تتعاظم طاقة الحب لتلقي بظلالها على قلوب وعقول كل من بالكون لتشكل سيمفونية رائعة متناغمة من الحب والتعاون، كون جزيئاتها متكاملة ومنسجمة في هارموني جميل ومتسق مع طبيعة النفس.

انتهى كلام أستاذي الذي قاله لي من زمن ليس بالقصير ، ومكثت أفكر فيما قاله، لكنني لم أستطع تقبل الفكرة بشكل كلي ، وحين تذكرته منذ أيام وأنا أقلب في أوراقي القديمة وجدت نفسي تواقة لأن أكتب عن فكرته التي بها كثير من الشطط من وجهة نظري ، لكنها جديرة بالعرض لما فيها من قيم فلسفية، ورغبة خيرة في تفسير شيء من وجهة نظر خاصة جدًا.

همس ذاتي

صغار: ننظر بإنبهار للعلاقة بين الرجل والمرأة ونحلم أن نكبر لنختبر تلك المشاعر.

في شرخ الشباب: نشعر أن المشاعر هي المحرك الرئيسي والأقوى والأحق بالسيادة على ما عداه وقيادة دفة العلاقة.

في منتصف العمر: ندرك أن هناك الكثير والعديد من المحددات والقواعد والأولويات التي يجب أن تحكم قراراتنا بشأن تلك العلاقة.

حين يدركنا المشيب: نوقن أن المودة والرحمة التي ذكرها ربنا عز وجل في كتابه الكريم هي أساس أي علاقة نرغب في دوامها برونقها، ونحرص على نجاحها واستمراريتها.

همَّت به وهمَّ بها

همّت به صائحة وهي تسرد شكواها ودموعها تسبقها... وهمَّ بها محتضنًا إياها وهو يربت على كتفها ويمسح شعرها بيده مهدئًا لها.

همّت به تهدهده بعدما لمحت قسوة الوجع تعانق وجهه... وهمَّ بها يقبل يديها التي غمرته حنانًا ودفئًا.

همّت به صارخة بوجهه وهي تنوح وتبعثر اللعنات لشكها في خيانته إياها... وهمَّ بها رافعًا يده ليلطمها، لكن يده عجزت بعد أن التقت أعينهما.

همّت به تحدثه في كل ما شغل نهارها... وهمَّ بها مجيبًا لكن كبله الصمت، فابتسم وهو يعود بعينيه من جديد لمعانقة صحيفته التي بيده.

همّت به متوسلة بعينين ناعستين أن يصطحبها إلى السوق... وهمَّ أن يرفض لولا ابتسامة ثغرها.

همّت به تداعب شعره وهو مستلقي فوق الأريكة واضعًا رأسه على فخذها... فهمَّ بها مداعبةً وتقبيلاً حتى سقطا معًا من فوق الأريكة.

همّت به تدفعه بعيدًا عن طريقها وهي تشعر بالضيق بعد أن لاحقها... وهمَّ بها مدفوعًا برغبته بعد أن أثارته أنوثتها التي طغت على ملابسها وزينتها.

همّت به رغبة واشتهاء لشبابه... وهمَّ بها طمعًا في ثروتها، فخسر روحه، وفقدت احترامها لذاتها.

همّت به ناصحة وموبخة.. فهمَّ بها غاضبًا وهو يهرول مبتعدًا.

همّت به مقبلة في دلال... فهمَّ بها محتضنًا في دفء وإقبال،

همّت به... فهمَّ بها... إلى أن تقوم الساعة.

الهمّ واختلاف الطبائع

هذا الهمّ الذي يعترينا في أحيان كثيرة ويضيق به الصدر والدنيا بما رحبت لا يكون له سبب ظاهر في غالب الأحيان، ولا نستطيع مهما حاولنا أن نمسك بتلابيب أي سبب مباشر لهذا الحزن، وقد يرجع بعضنا من باب الاستسهال، همه لحدث مباشر قد يكون بسيطًا ولا يتناسب والهمّ الذي يعتصر قلبه ويقض مضجعه، ربما يكون هذا العارض بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، ففجرت ينابيع الحزن وحملت شلال الهم ليغرقنا فيه، لكنه ليس بالضرورة هو السبب المباشر والمسبب لما نشعر به من ألم.

وقد تعاملت مع هذا الشعور مرارًا وحاولت أن أسبر غوره؛ فوجدت أن طبيعة النفس البشرية بما جبلها الله عليه وبما أودعه فيها سبحانه من أسرار تنطوي على الكثير من الخفايا التي لا يلحظها إلا متدبر لكينونتها، صابر على تقلباتها وموقن بقدراتها التي ليس لها حد، فهذه النفس البشرية قادرة على اختزان الحزن ومن ثم اجترارە في أوقات الضعف والوهن التي تمر بها، فتتفجر ينابيع الهم من حيث لا ندري وتذرف الدموع دون أن يوقفها شيء، وتتداعى كل الأحزان في هجمة قاسية

على النفس التي صارعت من أجل أن تبقى متماسكة، فنجدها وقد انهارت وتصدعت أركان قوتها الظاهرة لتفضح ضعفها الإنساني.

مررنا جميعًا بلحظات قاسية من الحزن لكن ردة الفعل تختلف من إنسان لآخر، ليس فقط لاختلاف الطبائع والمخزون الثقافي، بل لاختلاف التركيبة الإنسانية، فنجد البعض يختزن الحزن إذا شعر بأنه غير قادر على استيعاب مسبباته في حينه، وقد نعتقد أنه إنسان جامد متحجر المشاعر وهو أبعد ما يكون عن هذا الوصف، فقط طبيعته لا تستوعب ولا تقدر على احتمال قدر الحزن فنجد نفسه قد أجلت التعامل مع الهم، وفي غالب الأحيان ينهار هذا الشخص بمجرد أن يسمح لمشاعره بالتفاعل مع حزنه، ونجد هذا الصنف يبكي بحرقة، وقد يصاب بالمرض من شدة حزنه، وهو أقرب ما يكون في تأثره بالحزن من الشخص الذي يتفاعل بكل حواسه مع الحزن ويتأثر مباشرة بأي بادرة لحزن ظني، فينهار ولا يحتمل وتسبقه دموعه هو يشبهه في شدة التأثر مع اختلاف التأثر الزمني.

وهناك من يتعامل مع الحزن بعناد وصلف وقسوة قلب وهذا صنف انتشر كثير في أيامنا لضعف الإيمان والابتعاد عن القيم وتجاهل الأخلاق، وصنف أخير يتعامل إيمانياَ مع الهم فهو

يصبر ويحتسب ، وهؤلاء قلة ممن يرون في الحزن مصاب وابتلاء من الله ويوقنون أن أي حزن دنيوي لن يقارن بحزن الخاسرين في الآخرة، وهؤلاء هم أفضل صنف في تعاملهم مع الحزن وشعورهم بالهم ، وهم دومًا يتقبلون الحزن بالرضا والصبر فلا يقدر على كسرهم أو النيل منهم.

ونحن إذ لم نستطع أن نوطد أنفسنا على أن تكون تحت لواء هذا القسم الأخير فما العمل؟ سؤال يسأله كثير منا لأنفسهم وهم يرون الهم قد ركبهم والحزن قاسمهم عيشهم، أعتقد أن الحل يكون بالتفاعل الآني مع مسببات الحزن وعدم كبت المشاعر حتى تتفاقم وتصبح النفس عاجزة عن الاحتمال بل بتدريبها لتقبل أسباب الهم والتعامل معه على أنه عرض يصيب النفس ، وأننا قادرون على تخطيه ، ومرة بعد مرة نستطيع أن نزرع في أنفسنا اليقين بأن أي حزن مهما علا شأنه ما هو إلا نتيجة منطقية لما تجنيه أيدينا، أو لما كتبه الله علينا، لذا فمن غير المقبول عقلياَ أن نحزن على شيء نحن سببه الأساسي ، وأيضًا ليس مقبول أن نصاب بالحزن لشيء لا نستطيع دفعه وهو القدر.

حين نستطيع تدريب أنفسنا على ما سبق يتضاءل الحزن الذي يصيبنا ويتلاشى الهم رويدًا رويدًا من حياتنا ، وربما نرتقي لنصبح من الفئة الأخيرة التي لا ترى في أي حزن دنيوي قيمة،

وينصب جُلَّ اهتمامها على تأمين نفسها من الحزن الأكبر والخسران العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون، وهذه مرحلة لا يرتقي إليها إلا ذو عزيمة ، وصاحب رؤية ثاقبة تؤهله إلى اغتنام كل الفرص ليثبت نفسه ضمن تلك الفئة ، ويعمل جاهدًا ألا يستولي عليه اليأس فيقعده عن تحفيز نفسه، كي يلحق بتلك الثلة ممن انتصروا على الحزن وطردوا الهم، حين أيقنوا بقوتهم الداخلية أن لا هم يستأهل أن يغشاهم في تلك الحياة الدنيا مهما عظم شأنه أو خدعتنا ضخامته.

الوجع و القدرة على المجابهة

البعض يتحدث عنه والبعض يخلط بينه وبين الألم، لكن الوجع ربما يشتمل على الألم فهو أشمل، الوجع إحساس مؤلم نفسياً وجسديًا فهو أعم من الألم، الذي هو بالأساس شعور جسدي ينتج عن تأثر الجسد بعارض مرضي أو حادث يفضي إلى شعور الجسد بالألم، وربما انفعاله بهذا عن طريق إصدار حركة أو صوت بطريقة خارجة عن المألوف، والألم مهما عظم تأثيره فإنه يكون قابلاً للعلاج والجبر، وربما نستطيع تخطي الشعور به خلال فترة وجيزة طبقًا لمدى الضرر الذي وقع علينا.

أما الوجع فشعورنا به قد لا يتعلق بأذى جسدي بل غالبًا ما يكون الأذى الجسدي عارضًا من عوارضه، وعمق الشعور بالوجع يعود إلى أنه يصيب أرواحنا ويتغلغل في قلوبنا وعقولنا ويسيطر بطريقة جامحة على كل مشاعرنا، وفي غالب الأمر يقعدنا عن السير في طريقنا لاستكمال رحلة حياتنا، وبقدر عمقه بقدر طول المدة التي نحتاجها كي ننفلت من عقاله ونعود إلى أنفسنا.

تحدث البعض عن وجع البعاد سواء كان هذا البعاد عن وطن أو عن محبوب، سواء كان بفراق هذا المحبوب بُعدًا أو موتًا،

لكن لا ينحصر الوجع بمنظوره الشامل في هذا ، فكثير ممن يعيشون في أوطانهم وبين أحبائهم يشعرون بالوجع ، ويضفي على حياتهم هذا الوجع التعاسة التي تلازمهم وتقد مضجعهم، وتحيل عبراتهم نهر جاري حتى وإن أخفوها وستروها عن الأعين ، ذلك أن الموجوع يشعر بالضعف ويحاول جاهدًا أن يظهر بمظهر القوي حتى وإن زاد هذا من أوجاعه.

للوجع أسباب شتى لا يمكن حصرها ، ومرجع هذا هو طبيعة النفس البشرية التي تتأصل فيها الكثير من المتغيرات المتفاعلة، طبقًا لكل علاقة أو حالة ، وبنظرة رياضية بحتة نرى أن حصر تفاعل كل نموذج مع ملايين النماذج المحيطة يعجز أي عبقري عن إيجاد صيغة محددة لأسباب الوجع، أو توقعات لكنهها.

لكننا هنا بصدد إيجاد حل لتخفيف الوجع الذي يعترينا كأفراد ويسيطر على المناخ العام لبعض المجتمعات ، فيعطل طاقات منتجة ويسهم في تراجع عجلة التقدم ، وإذا سلمنا أن الوجع في درجته الأولى هو تأثير نفسي يستشعره البعض ويضاعف إحساسه به القهر الذي يلازمه حين يفكر في الخلاص من هذا الوجع ، ندرك أن بؤرة الشعور عند أي شخص هي نقطة الإحساس بالوجع ، وكلما زاد الضغط على تلك النقطة شعر الشخص بقدر أكبر من الوجع ، ولأن هذا الإحساس معنوي بالدرجة الأولى فإن شعور بالظلم أو عدم المساواة مع اقتران

هذا بالقهر الذي يمنع الموجوع من الإفضاء بمكنونات نفسه، أو دفع هذا الشعور ومحاولة تغيير واقعه، يكون هذا الشعور بداية الخيط الذي نستطيع من خلاله وضع أيدينا على الطريق الناجح لمعالجة الوجع.

فنحن أمام أمرين؛ حالة عامة تحكم علاقة الشخص بمن حوله وما حوله، وحالة خاصة تتمثل في عجز هذا الشخص عن مجابهة الضغوط المحيطة وإحساسه الدائم بالعجز، فيقعده هذا عن محاولة تغيير واقعه، وإذا كان الإطار العام قد يصعب تغييره من قبل الفرد فحري بنا أن نلتفت بعمق وصدق إلى وجوب تفعيل إيجابية الفرد وتقوية قناعاته، ومساندتها فيما يخص قدرته على التغيير في نفسه، فيبدأ بمحاربة الضعف الشخصي الذي يتغلغل في نفسه، ويقوي من عزيمته ويدرك أن تغيير المحيط لا يبدأ إلا حين يتغير المركز الذي يمثله هو بذاته، وحين يبدأ في إدراك هذا يجب ألا يتوقف إلا حين يطرح عن كاهله شعوره بالعجز، ويؤمن تمام الإيمان أن عليه بعد أن يتم تغيير نفسه ويصبح قادرًا على المجابهة، أن يبدأ في تغيير المحيط ويعرف أن هذا ليس بسيطًا وإنما يصبح هينًا حين يتكاتف أفراد من هذا المحيط لتغيير واقع.

وربما لنوضح الأمر ننظر حولنا إلى الشعوب التي تعيش ربيع ثوري، فهذه الشعوب كمجتمعات وأفراد رزخت تحت نير

الوجع عقودًا قبل أن يدرك بعض أفرادها أن الوقت حان للتخلص من هذا الوجع المؤلم، والذي نشب أظلافه في الأرواح، فتخلوا عن عجزهم الذي ورثه جبنهم وتخاذلهم وحملوا أرواحهم بعد أن تيقنوا من استحالة العيش أكثر مع هذا الوجع ، فدفعوا بأنفسهم في خضم معركة شعروا أنهم لن يخسروا فيها أكثر مما خسروا ، فقد خسروا أرواحهم بهذا الوجع القاتل فلما لا يجربون طريقة أخرى ربما تخلصهم من عذابهم ومن أوجاعهم.

وقد أفلح البعض في التخلص من أوجاعه بالموت، ووضع حدًّا لسلسلة أوجاعه ، بينما نجح آخرون في فرض التغيير ؛ خاصة حين تكاتف مع غيره في مشهد جديد على الساحة ، وتخلص البعض وقتياَ من وجعه والبعض نهائياَ؛ كل حسب حالته، لكن من تخلص من الوجع وقتياَ عادت إليه شراسة الوجع وهو يرى أن ما قدمه لم يغير كما كان يأمل ، فعاد لمحاولاته وبدأ في خوض المعركة من جديد ، وآخرون تقهقروا وعادوا للسكون والاستسلام لحالة الوجع السابقة التي أطبقت عليهم أكثر ، وبدت وكأنها تخنقهم وتميتهم، فهم الموتى الأحياء.

والخلاصة إننا إذا أردنا استئصال شأفة الوجع فليس علينا إلا نسيان طريق العودة حين نخطو خطوتنا الأولى نحو النجاة ، ونكن عازمين على مغادرة ومفارقة هذا الشعور القاتل للأبد،

وقتها فقط نكون قد تخلصنا نهائيَا من هذا الشعور، أما أن نسير لنصف الطريق ونبدأ في التفكير والتراجع فهذا لن يجدي نفعًا، وربما عاد الوجع أشرس وأقوى من سابقه، وما عاد بوسعنا محاربته أو القضاء عليه، بل على العكس قد يقضي هو علينا ويحيلنا لأشباه أفراد تحيا ولا تشعر.

كم من الوقت تحتاجين لتصبحي جينفر؟

كم تحتاجين سيدتي من الوقت كي تبهري عقول صغار الرجال؟. وكم تحتاجين من ألوان لترسمي لوحة وهمية على وجهك ، وتنقشي رسمك المزيف على شاشات العرض وأنت تتمايلين وترقصين؟.

كم تحتاجين من كذب لتلفقي كل تلك الخدع وتبدلي آراء السفهاء في النساء ، ليحلموا بك أنت الحلم الذي تصنعه أكاذيب صناع الموضة من نخاسي العصر الحديث ، ومروجي الألوان والزيوت من دجالي القرن الواحد والعشرين؟.

الوحش فقط هو من ينحي المشاعر جانباَ ، لأن هذا ما جُبل عليه، وينتقي الأكمل من فرائسه ليفترسها، أما نحن بنو البشر فقد منحنا الله الكثير لنختار على أسس أكثر عمقًا وأرسخ تركيزاً، أسس باقية لا تزول مع مرور الزمن وتغير الحال طبقًا لناموس الحياة الذي ارتضاه لنا المولى عز وجل، أسس ليس لها علاقة بالعين الكحيلة ولا الشفاه الكرزية ولا القد النحيل ، بقدر ما هي معنية بالجمال الذي يشع نور عبر العينين وعبر الشفتين.

الناظر إلى نساء شاشات العرض من فنانات ومذيعات يهيئ له

أنهن خلق غير الخلق الذي يصادفه في شارعه أو بيته ، وهو واهم، فليس كل ما يلمع ذهبًا كما علمنا الأجداد، ووراء هذه القشرة الزاهية في أغلب الأحوال نفس هشة وفكر عقيم وأخلاق فقيرة، ذلك أن الإنسان حين يجد جانب قد أشرقت به حياته يكرس كل مجهوده لتعظيم هذا الجانب وينسى ويتناسى أي جوانب أخرى ، ويهيئ له غروره إنه قد وصل للقمة، فيتقاعس عن إدراك ما سوى هذا الجانب، وهذا ديدن الفاشلين والمعاقين فكريًا ممن يتمتعون بأرفع الألقاب وهم أبعد ما يكون عن معانقة معانيها.

حدثتني صديقة عملت فترة بالإعلام وكانت تضحك وهي تسرد قصة الساعات التي تمضيها أي فنانة أو إعلامية لتظهر بتلك الصورة أمام الناس ، وهو عرفٌ تعود عليه الجميع ، وكأن المتلقي لن يفهم أو يتابع إذا لم تكن الأنثى التي أمامه من عالم الأحلام ، وهو ضيق أفق لدى صناع الإعلام في منطقتنا ، استقيناه من صناع الإعلام الغربي ، وطبقناه بلا تفكير ، ولو هناك بعض التفكير لعلمنا أننا نخدع ونغالي في خدعتنا لدرجة قد تضعنا في مصاف المجرمين والمزورين ، والمصيبة هي في نتائج هذا التدليس، فقد ترتفع نسب الطلاق أو الخلافات بين الأزواج بسبب ظهور إحداهن بمظهر ملائكي خداع يجعل الجميع يقارن، وربما تكون هي أقل بكثير ممن يقارنها بها،

لكنه الخداع والرغبة والبريق الذي يساعد في جذب الأعين بأي طريقة وبأي ثمن.

فهل تستطيعين سيدتي أن تقدِّري الوقت اللازم لك كي تُصبحي مثلهن؟ أم تراك ستكتفين بما أنت عليه وتكتمين ضحكتك وأنت تسخرين من تلك العقول الصغيرة؟.

ممنوع الدخول لأقل من ١٨ سنة

كمثل هذا العنوان الذي سيجعل كثيرين يلجون الصفحة، عملاً بقاعدة (الممنوع مرغوب) ، كانت دعاية أفلام زمان تزدان بخط أحمر كبير بتلك العبارة وتلك القاعدة التي أثرت وتؤثر بطريقة ما على التوجه العام في تناول أي قضية أو التعامل مع أي موضوع ، مازال لها وقع السحر ، وأنا أتذكر قبل عشرون عام أو يزيد حين كنا صغار هذه العبارة الشهيرة التي كانت تلفت النظر لأي فيلم يعرض في دار سينما درجة ثالثة ، فيسارع كل الشباب الصغير للدخول، إما بدافع الاستطلاع أو بدافع إثبات أنه لم يعد صغير، وقد كان أصحاب دور العرض تلك قد فطنوا لهذا مبكرًا فكانت العبارة تلصق على إعلانات أي فيلم، خاصة إذا كان فيلم غير ناطق بالعربية، ورغم هذه العبارة فقد كان يسمح للجميع بالمشاهدة، وهذا الجميع كان دومًا طلبة المدارس المتسربين من مدارسهم.

الآن وبعد نجاح الشباب في أرجاء الوطن العربي في إشعال ثورة التغيير؛ فقد بدأ البعض يهمس ثم علا الهمس وأصبح كلامًا وأخيرًا صراخًا، بماذا؟ بأن يترك الكبار الدفة للصغار لكي يديروا الأمور ، فهم أكثر قدرة وأكثر مبادرة وشجاعة من معشر

الشيوخ ، وهذا منتهي السفه وغاية في التطرف ولن تختلف نتيجته - إذا لا قدر الله حدث - عن نفس نتيجة تنحية الشباب ووضع الأمر كله بأيدي الكبار ، ممن أفسدوا علينا حياتنا في مشارق الأمة ومغاربها، الأمر يحتاج لوقفة لنتعلم من تجاربنا فنحن بحاجة إلى مزيج متوازن من عنفوان الشباب وفورته وعقلانية الشيوخ وحكمتهم، لا يجب أن نرفض وجود خبرات الكبار لأن بعضهم أخطأ وأوصلنا لما وصلنا إليه، ولا يجب أن نستهين بشباب مصر الذي صنع ثورته برقي وعظمة شهد لها العالم أجمع، أقول هذا بعدما قرأت وسمعت من البعض أن الشباب قد أدى دوره ويجب أن يترك الحكماء ليديروا أمر هذا الوطن، وكأنه يريد العودة إلى عبارة ممنوع الدخول لأقل من ١٨ سنة، بل إنه يريد أن يوسعها فيقول ممنوع الدخول لأقل من ٥٠ سنة ، وفي المقابل سمعت من بعض الشباب مقولات تسفه من خبرات الكبار وتصفهم بالفشل وبأنهم بجبنهم وتخاذلهم كانوا السبب الرئيسي فيما وصل إليه حالنا.

سُنّة الله في أرضه أن يتواصل الخلق مهما اختلفت مشاربهم وأصولهم وأعمارهم لينتج عن هذا التواصل والتجاوب الإنساني إعمار الأرض، ونحن إن أدركنا هذا نوفر على أنفسنا الكثير من تبادل التهم وضياع فرص البناء لوطن توقف به الزمن كثيراً، وأثخن بجراح مازال بعضها ينزف، ولا أرى شفاء لجروحه بغير

تكاتف أبناء الأمة نساء ورجال شباب وشيوخ كي نضع أقدامنا على بداية طريق نهضة تستحقها الأمة ، ونحن قصرنا في تحقيقها بتخاذلنا وجبننا جميعًا فلا أقل من أن نحاول تعويض ما فات ولا نفكر في إقصاء طرف لصالح آخر ، فإن المرحلة القادمة تحتاج لسواعد الجميع وفكر الجميع وعزيمة الجميع، ويقيني أننا حين ندرك هذا فلن يقف شيء بطريق صنع نهضتنا ومجدنا.

ماذا لو أجبرك زوجك على الإفطار؟

في الأعم الأغلب لا يستطيع الكثير تعدي الحدود الشرعية حتى وإن كانوا ضعيفي الإيمان، ذلك لأن التقاليد الحاكمة في أحيان كثيرة تكون هي الرادع وليس القيود الشرعية التي يتنصل منها البعض وهو يسوق حججِ، من قبيل الدين يسر ولا يكلف الله نفسَا إلا وسعها إلخ... وهم أبعد ما يكون عن فهم تلك المعاني الفهم الصحيح.

لكن ومع ما سبق نجد هناك حالات فردية تكثر أو تقل بحسب الظرف، فينصاع الزوج للغواية خاصة إذا كان شابًا أو ممن تزوج حديثًا ويقبل على زوجته في نهار رمضان، وأحيانًا لا تكون الزوجة على درجة كافية من الوعي والتقوى فلا تصده، وفي أحيان تجد نفسها مكرهة على هذا بعد محاولات صد، فهل تعرفي عاقبة الأمر وكيفية علاجه؟.

من المعلوم شرعًا أن كفارة إفطار يوم من شهر رمضان هي على الترتيب والقدرة كالتالي: عتق رقبة مؤمنة ، أو صوم شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينًا، بإعطاء كل مسكين مُدًّا من طعام أو إشباعه -(المُدّ يساوي ثمانمائة وسبعين جرامًا تقريبَا ، وإذا دفع تسعمائة جرام كان احتياطًا وافيَا) ، مع

وجوب قضاء اليوم.

وإذا أفطرت المرأة عمدًا فى نهار رمضان وجب عليها قضاء اليوم أو الأيام التى تعمدت الإفطار فيها دون عذر شرعى، ووجبت عليها الكفارة، فإذا بدأت صوم الكفارة شهرين متتابعين، وحاضت فى خلالهما كان عليها أن تفطر مدة نزول الحيض، وتتابع الصوم بعد ارتفاعه حتى تتم الشهرين عددًا، ولا يعتبر إفطارها فى خلال صوم مدة الكفارة قطعا لها، لأن الحيض عذر شرعي فلا يفسد به تتابع الصوم فى الكفارة.

أما إذا كان الإفطار بالجماع فإن الزوج المسلم الذي ليس لديه عذر ليفطر إذا أكره زوجته الصائمة على الجماع في نهار شهر رمضان، كان عليه كفارتان وتعزيران - خمسون سوطًا - فيتحمل كفارتها والتعزير عنها، أما إذا كان الزوج مفطر لعذر فأكره زوجته الصائمة على الجماع لم يتحمل عنها الكفارة، وإن كان آثمًا بذلك.

وجمهور الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية؛ قالوا إن الزوج إذا أكره زوجته على الجماع في نهار رمضان فإن صومها قد بطل، وعليها القضاء فقط ولا كفارة عليها بخلاف زوجها فعليه القضاء والكفارة.

واحد منهم

حين كنت أرى اسمي بين الأسماء كان ينتابني شعورٌ غامضٌ لم أدرِ يوم كنه هذا الشعور، لكنه بغموضه هذا كان يخفف عني بعض من الحزن الذي كان يخالجني ويعشِّش في مقلتي التي كانت تزدحم ببعض العبرات ، وحين شببت عن الطوق قليلاً كنت أغضب كثيراً وأنا أرى كابتن الفريق الذي كنا ننتمي إليه، تعلق بعينيه تلك النظرة التي تحمل نفس المعنى، دون تمييز بين أحدنا والآخر ، حتى عندما كبرنا وانتسبنا للجامعة كانت عبارات الفتاة التي كنت أعشق تتقاطر بنفس المعنى وهي تتحدث إلينا فكان هذا يغضبني ، لم أدرِ لما كنت أتوق دوماً للتفرد ، ولأن أعامل على أني لست مجرد رقم أو اسم ، بل إنسان له شعور وأحاسيس يجب أن تؤخذ في الاعتبار حين يفكر الآخر في التعامل معه، فلم أرضَ يومًا على وجود اسمي رغم تفوقي في قائمة الناجحين، لأني كنت أستشعره رقم واسم لا يحمل دفء المعنى، وحين بدأت عملي حرصت من أول يوم لي على أن أكون أنا، واجتهدت لكي لا أكون مجرد واحد منهم، من الموظفين أو حتى المديرين ، حتى عندما تقدمت لخطبة الإنسانة التي أحببت كنت حريص على تميزي في طلبي وفي

إتمام إجراءات الزفاف، بعدما فشلت عدة محاولات كنت أراني خلالها مجرد فرصة من الفرص لصويحباتها ، فكنت أسارع بالانسحاب.

لم تكن تلك أنانية أو غرور؛ بل كانت حرص مني على النجاح، فأنت حين ترفض أن تصبح مجرد واحد من كثيرين ، فإنك تحرص على فعل كل ما يجعلك لا تتخلى عن تفردك وتميزك الذي تحلم بتحقيقه، وأنا كنت ولا زلت متمسك بحلمي، لأني أعتقد أنه السبيل الوحيد لتحقيق أي إنجاز ، فالخروج من طابور المعتاد والتمرد على التابوهات المتهالكة هو نوع من أنواع السعي إلى الإبداع والتغيير ، وما حياتنا إلا سلسلة من الإبداعات، هذا إذا أردنا بالفعل أن نحياها كما أراد لنا المولى عز وجل أن نحياها، أما أن نعيش لنأكل ونعمل ونتكاثر بلا هدف وبلا رغبة في إحداث نقلات حياتية أو قفزات على المستوى الإنساني وفي أي مجال نختص به، فإننا بهذا نكون قد كرسنا لسياسة القطيع التي تنتهجها معظم المجتمعات البدائية والأمم المتخلفة التي يسمونها تأدبًا نامية.

وأنا هنا أريد أن أوضِّح شيئًا مهم يخص ما ذكرت بصفة دقيقة وهو أن التفرد والتميز يكون بتقديم رؤية منهجية منظمة وحلول وأفكار، بتقديم شيء يعود بالنفع على الذات والمجتمع ومن ثم على الأمة جمعاء، لأنني أرى الكثيرين الآن يحاولون

التفرد لكن بجهل وغوغائية ، يحاولون التفرد بالتغريد خارج السرب ، يختلفون ويصيحون ويعادون لمجرد الظهور ، يعارضون لمجرد المعارضة، دون أن تكون لديهم منهجية خاصة بهم ورؤية واضحة تضع حلولاً تحل محل ما يعارضونه أو ينتقدوه ، وقد عظمت الطامة لأن هذا طال جميع مناحي حياتنا، من سياسية لاجتماعية ومن رياضة لفن حتى الدين لم يسلم من نيل هؤلاء، والكل يطمع في ركوب الموجة، معتقد أن هذا سيوصله لشيء وهو واهم.

أنت حين تتصدى لقضية ما يجب أن تلم بكافة ما يتعلق بها من أسباب وأطراف وعلاقتها بغيرها من القضايا، ومن ثم تضع عدة حلول بأساليب علمية دقيقة حتى لو اعتمدت على غيرك من الخبراء في هذا المجال، وتفاضل بين تلك الحلول، وتطرح أفضلها للنقاش العام، ويكون دومًا هدفك الصالح العام وليس مصالح شخصية تحركها أهواء أو قناعات خاطئة، وتكون على استعداد لتلقي رأي الآخر الذي في الغالب قد يكون مخالفًا لرأيك لاختلاف النظرة والأسس التي تم بناء رأيه على مفرداتها ويكون لديك من الحجج ما تستطيع به أن تقنع الذي أمامك بوجهة نظرك دون تشنج أو إسفاف أو رفض للآخر، بل يجب أن تكون مستعدًا لقبول رأي الآخر في حال أقنعك، وفي حال وجدت من المنطق في ما توصل إليه ما يحتم عليك اتباعه، ولا

تضع من البداية فرضية رفض الآخر مهما يكن ما سيقدمه، أولاً لأن هذا ينسف مصداقيتك من البداية وثانياَ لأن هذا يكون مدعاة لعدم تلاقح الأفكار، وما يسببه هذا من جمود، وانهيار لفكرة الصالح العام.

هذا إذا أردت فعلاً أن تكون متفردًا وفاعلاً، لا متبِعًا ومقلِّدًا، ولا صائحًا وسط جموع الصائحين بلا هدف وبلا وعي، لمجرد أن تكون موجودًا، ولا يهم ما تفعله أو ما تقوله، أو يشغلك أثره، المهم التواجد والمشاركة بفاعلية أو بدون، بفائدة أو بدون، وكأنك تريد أن تكون واحدًا منهم وكفى، وكأنك تريد أن تنضم إلى سلسة الأقلام النافقة والحناجر التافهة.

جميعنا بدأ كما بدأت أنا؛ راغبَا في التفرد وعازمًا على إحداث فرق، لكن سرعان ما تنقلب الصورة ويجد أيًا منا نفسه وقد انساق وراء وهم يصور له ألا فائدة، وأن اليد الواحدة لا تصفق، فيتقاعس ويبدأ في نسيان رغبته الأكيدة في رفضه لأن يكون مجرد واحد منهم، ويبدأ إما في معاقرة الصمت، أو البحث عن التفرد بالتهجم ونشب معاول الهدم في كل ما حوله، ومن حوله، وتمتزج المرارة بسخريته مع شعوره بالانسحاق والهزيمة في ذاته، تغذي تلك النزعات خيبة أمله في مجتمعات يسودها الفساد وتنعدم فيها العدالة وتتوارى المساواة بين أبناء الوطن الواحد، فلا يجد سبيل غير ما ذكرت؛

وهو الانضمام للقطيع في سعيه للاستمرار، أو تخيل أنه يجب أن يحافظ على تفرده وذلك بالهجوم على أي شيء وكل شخص دون أن يكون قادرًا بذاته على النظر لنفسه أو محاولة إصلاحها، ودون أن يكون قادرًا على تقديم الأفضل في ظل ضبابية فكرية أحدثها يأسه وعدم قدرته على التعايش مع إيمانه بذاته وبقدراته.

يحدث هذا كل يوم معي ومعك ومع أناس كثر، وجدوا أنفسهم وبلا سابق إنذار ضمن القطيع فالبعض استسلم، والبعض حاول أن يتمرد لكن بغير منهجية ولا فكر، وإنما بانفلات أخلاقي وفكري، فأذى نفسه قبل أن يؤذي غيره، وقليل هم من نجوا من هذا وذاك فخطوا لأنفسهم طريق وأسسوا لذواتهم منهاج قويم مستعينين بثوابتهم الأخلاقية والدينية التي أعانتهم على سلوك هذا الطريق، فنجوا من أن يقعوا في هاوية التقليد الأعمى أو التفرد الأغبى، بل إنهم نجحوا وبامتياز في التفرد ولم يتعثروا في هاوية عنوانها الأبرز (واحد منهم).

البركة المفقودة

الكثيرون منا يشتكي من عدم تمكنه من تلبية كل احتياجاته هو وأسرته، ورغم أن متطلبات المعيشة أصبحت مكلفة وفوق استطاعة الكثير منا؛ إلا أننا نستطيع أن نخفف من وطأة هذا الغلاء باتباع المنهج الرباني وتحكيم الشرع في كل مناحي حياتنا فننبذ التبذير والإسراف ونركز في تحديد احتياجاتنا بما يضمن الرشد فيما ننفق، ونحدد لأنفسنا مبلغ معين نتصدق به يومياَ مهما كان صغره وقلته ، المهم أن نداوم على إنفاقه ، وأن نحتسب فيما ننفق ونبتغي وجه الله في كل عمل نعمله وكل خطوه نخطوها.

أيضًا هناك الكثير من السبل التي تعيد البركة لحياتنا لعلنا نلخصها هنا في بضع نقاط استنادًا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

أولاً البسملة في بداية أي عمل ؛ فهي أولاً تطرد الشياطين وتبعدهم ، وهي من أكثر الأشياء التي توقع البركة سواء في الأفعال المعنوية أو الحسية.

ثانيَا حسن التوكل على الله عز وجل فهو من أعظم ما يجلب البركة ويغني الإنسان (ومن يتوكل على الله فهو حسبه).

ثالثًا الاستغفار، ولعل المداومة على الاستغفار لا يقتصر نفعها على حصول البركة وحسب بل أيضًا وزيادة الرزق وتمام الصحة والعافية كما ورد في آيات الذكر الحكيم (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ) - الآية

رابعًا إقامة الصلاة على وقتها وفي جماعة، من أكثر الأشياء التي تطرح البركة في الوقت والصحة والرزق.

خامسًا الصدقة وهي على عظم أجرها في الآخرة ومضاعفته لها الأثر البالغ في الدنيا، فهي تشفي المرضى وتنير البصيرة وتطفئ غضب المولى عز وجل.

سادسًا صلة الأرحام والبر بالوالدين، وهذا أيضًا من أعظم أسباب حصول البركة.

سابعًا المداومة على الشكر وحمد الله سبحانه وتعالى فإن هذا مما يزيد من فيض النعم التي يهبها الله لعبده.

ثامنًا تحري الحلال من الرزق والمال، وهذا أيضًا من أعظم النعم التي إن حرص عليها الإنسان ترفعه وتحصل له البركة والسعادة.

تاسعًا التقوى والإيمان، والتقوى جالبة للرزق وهي لا تظهر إلا مع قلب مؤمن يخاف الله ويتقيه (ولو أن أهل القرى أمنوا

واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض).

عاشرًا التبكير في طلب الرزق وهو من أهم موجبات البركة مصداقًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (بورك لأمتي في بكورها).

وبعد كل هذا هل لأحد منا من عذر أن يشتكي من افتقاده للبركة؟.

فنُّ المعاملات

يتراوح تعامل الفرد مع المحيطين به من أقصى درجات التحفظ والريبة إلى أقصى درجات التهاون وتخطي حدود الخصوصية، والبون شاسع بين هذا وتلك ومن لا يستطع أن يحدث التوازن المطلوب يجد نفسه محط انتقاد لاذع، إضافة إلى كونه يخسر الكثير في سبيل استمرار علاقاته بالآخرين.

وفيما يخص النوع الثاني من العلاقات والتي يتسم صاحبها دومًا بما يعرف بالدبلوماسية واللياقة ، فإنه حين لا ينتبه لتصرفاته وعلاقاته بالآخرين فإنه قد يتنازل عن بعض احترامه لذاته ليظل محتفظ بالتواصل معهم، ومن ثم يبدأ مسلسل الخسائر ، فسلم التنازلات لا يعرف حد للتوقف، وهو حين يحاول أن يوقف هذا النزيف يكون مضطرًا لخسارة بعض المحيطين به والمتعاملين معه ، وعند هذه النقطة بالتحديد يجد نفسه مرغمًا على تحديد أولوياته، ومعرفة قدرته على المواجهة، وفي كثير من الأحيان يفشل في اتخاذ موقف محدد، خاصة إذا لم يكن عنده استعداد لخسارة بعض علاقاته بمن حوله سواء كان هذا لمشاعر يكنها لهم أو لمصالح يعتمد عليهم فيها.

أما النوع الأول فهو يمثل أقصى حالات الريبة، يجعل صاحبه في تعامله مع الآخر يقدم الشك ويمحص كثيراً قبل إقامة أي علاقة سواء كانت علاقة عاطفية أو علاقة ود أو حتى علاقة عمل، وفي جميع الحالات يفقده هذا التحفظ والريبة الكثير ويجعل علاقاته مهددة دوماً، إما بعدم الاكتمال بالانهيار سواء كانت في بدايتها أو عند تمامها، فهو يضع علاقاته بالآخرين على المحك ويجد نفسه مضطر إلى مراجعة وتمحيص كل تصرف بدافع الريبة والقلق، وهو إن لم يتوقف ويعيد حساباته يجد نفسه في الأخير قد خسر علاقاته بكل من حوله.

والأمر من وجهة نظر علماء الاجتماع والنفس يتطلب أن يكون هناك توازن يجعل المرء قادر على التعامل بنجاح مع من حوله فلا يفرط ويتنازل ولا يشك ويرتاب بتطرف قد يفشل كل علاقاته، بل عليه أن يتعلم بهدوء فن التعامل بتوازن وذكاء اجتماعي يوفر له فرص النجاح.

القنوت و القنوط

القنوت: بالتاء هو الدعاء والطاعة، وهو السكوت، وهو أيضًا طول القيام في الصلاة.

القنوت له معاني منها دوام الطاعة، ومنها الخشوع، ومنها السكوت.

والقنوت في تعريف الفقهاء هو اسم للدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام.

أما القنوط بالطاء فهو انعدام الأمل بالرحمة الإلهية، ذلك الانعدام الراسخ في القلب والذي لا يشعر معه بقبح القنوط.

وهو أيضًا شدة اليأس وقطع الأمل في الخروج من الحالة التي يكون الإنسان عليها.

إذن فشتان بين معنى الكلمتان برغم تشابه أحرفهما ونطقهما، فالأولى كما أسلفنا تدل على الابتهال والدعاء والتضرع للمولى عز وجل، في حين تدل الثانية على اليأس من رحمة الله والركون إلى ظل المعصية وهجر نهر الأمل والمغفرة.

القنوت صنو التعبد والقرب من الله والاعتراف بفضله والمواظبة على شكره، والحرص على كل عمل يرضاه ويقربنا

منه، فهو طريق موصل للجنة ولرضا الرب في المقام الأول.

وعكسه تمامًا القنوط فهو طريق محفوف بالحزن مغرق في المعصية والبعد عن رحمة الله عز وجل، فهل لنا الآن بعد أن وعينا الفرق أن نبتعد عن القنوط ونتجنبه ونعيش قانتين للمولى عز وجل؟.

هل فكرت كيف ستلقى الله؟

أدرك أن العديد وأنا أولهم يغيب عن باله هذا السؤال المهم والملح في كثير من الأحيان، والسبب ربما يكون اللهاث اليومي في خضم الحياة السريعة التي نعيشها جميعًا، وقد يكون نوعًا من التعامي عن الحقيقة، أو الهروب بعيدًا عن مناطق تمثل لنا بؤرة المواجهة مع النفس، لكننا جميعًا وبعيدًا عن تحري الأسباب ننسى أو نتناسى التفكير في جواب لهذا التساؤل المهم والمصيري، رغم أن الإجابة تمثل حجر الزاوية والخلاص لكل منا في حال نجحنا في إيجاد الإجابة المثلى والتي تتسق مع رضا المولى عز وجل وتحقق رضوانه.

طرأ على ذهني هذا العنوان وأنا ألاحظ خوض الكثير من الأقلام في أعراض وسير بعض الناس، سواء كانوا من المشاهير أو المسئولين السابقين الذين يشار إليهم بأصابع الاتهام أو حتى أناس عاديون، وللأسف يأتي هذا الخوض إما تصريحًا أو تلميحًا أقرب إلى التصريح، وحين دققت فيما أقرأ وجدت أن غاية الكثير ممن ينشر ويكتب عبر صفحات الويب من هؤلاء يكون همه الأوحد أن يستقطب أكبر عدد ممكن من القراءات، دون النظر إلى تبعات كلماته وأثرها أنيًا ومستقبلاً، ودون أن يفكر

ولو للحظة في حسابه عند ربه بعد الذي خط وكتب.

هي آفة مصاحبة لكل من لا يرى أبعد من أنفه فيكتب ويفرح دون أن يلتفت للقادم، دون أن يفكر ولو للحظة في أثر ما خطه وتوابع ما ستحدثه كلماته من أثر، ومرد هذا أنه نسي أو تناسى، نسي أن لقاء الله أتي لا محالة وتناسى أن ميزان العدل الذي سيقف أمامه لن يترك مثقال ذرة إلا وسيزنها، ولن يترك حرف مثل خوض في عرض أحد إلا وسيقتص لصاحبه ممن خاض فيه، ووقتها لن ينفع ندم ولن يشفع مجد حقق من هكذا طريق.

فالواجب أن يفكر كل منا في كل لحظة وقبل أن يقدم على كتابة حرف واحد كيف سيلقى الله، وكيف سيدافع عما خطه بيده، يجب على كل منا ألا يظلم نفسه بيده ويترك العنان لشيطان نفسه فيحيد به عن جادة الصواب ويورده موارد التهلكة وهو لا يدري، بل لعله يكون على قناعة بأنه إنما يفعل الصواب وتزين له نفسه سوء عمله فيتمادى في غيه غير مدرك لعواقب الأمور، فقط هي لحظات مطلوب من كل منا أن يعيشها وهو يضع أمامه هذا السؤال المهم الذي سيكون الرجاء من الوقوع في الخطأ كيف سألقى الله؟.

هل فكرتم في الانتحار؟

على المستوى الشرعي ؛ الإقدام على إزهاق الروح بالانتحار يُدخل صاحبه دائرة الكفر كلياَ ، ويخرجه من رحمة الله عز وجل، لكن ليس كل انتحار هو إزهاق للروح ومغادرة دنيانا، فعلى سبيل المثال من يقارف الدنايا من الأفعال ينتحر اجتماعياَ ويصبح ميتًا لدى من حوله ، ومن يصرّ على مقارعة الزلل ولا يتعلم من أخطائه ينتحر أيضًا دون أن يشعر، ومن يبيع بني جلدته لمنافع شخصية بعدما وثقوا فيه ورفعوه على الأعناق ينتحر سياسياَ وهكذا...

وقد آلمني أن أرى بعض المثقفين والإعلاميين أثناء وبعد الثورة في الوطن العربي يصرون على الانتحار إصرارًا عجيباَ ، وتجد الواحد منهم لا يكتفي بتغيير جلده من وقت لآخر بل إنه يغتنم كل فرصة ليعيد تلوين توجهه حسب رؤيته للقادم ، وحسب توقعاته الخاسرة دومًا لكونها بنيت على أساس مصلحة شخصية مرتجاة، وليس عن قناعة أو عقيدة محددة.

وقد يهون كل هذا كون المتضرر الوحيد هو هذا المتلون الذي لا يلبث أن يكشف عن وجهه القبيح ، وينهار ليرحل إلى غير رجعة، بعدما أصبح الجميع على درجة من الوعي تحميهم من

الغفلة وتصديق الوهم، إلا أصحابنا هؤلاء الذين صورت لهم شياطين أنفسهم أنهم الأذكى والأكثر وعيًا وإدراكًا وفهمًا، فسقطوا في هاوية الظن وخسروا الكثير.

أقول هذا وأنا أتابع بحسرة زيف الإعلام الرسمي العربي وهو يتناول ما يحدث في كل قطر باستخفاف للعقول وتزييف يصل لحد السذاجة، وتأليه للطغمة الحاكمة وتجميل للطغاة بكل ما أوتوا من قوة، ويقيني أنهم جميعًا يدركون سخافة اللعبة وأن ما يروجون له لن يلبث أن ينهار وينتهي بقانون لا يصح إلا الصحيح.

لكنهم إما طامعون في جني ما يستطيعون من أرباح مع تغيير الوجهة وتبديل الجلد في اللحظة التي يرونها مناسبة، أو إنهم يراهنون على استمرار الأنظمة القمعية وينحازون لمن يظنونه باقيًا، وفي الحالتين فإن هؤلاء سُبة في جبين المثقفين والإعلاميين وسيدوِّن التاريخ عارهم على صفحات سوداء تفوح برائحة قبح ما ظلوا يدافعون عنه وهم على يقين من بطلانه.

وقد أثارني جدًا ما أطالعه على قنوات أنظمة بعينها مثل النظام الليبي واليمني والسوري - (مع اعترافي أن الإعلام في باقي الدول حتى التي نجحت ثورتها جزئيًا كمصر وتونس لا يزال يرزخ تحت وطأة الحرس القديم، لكنه يحاول من خلال

قنوات خاصة أن يحدث توازن في المعادلة)، أما الغث والذي تتناقله القنوات الرسمية في الدول التي ذكرت أنفًا فإنه يصيب المرء بالغثيان، ويجعلنا نكرر ما قلناه في البدء هل فكرتم في الانتحار؟.

قتل محمد صلى الله عليه وسلم

حدثان رغم البعد البيِّن بينهما ظاهرياً إلا أنهما يصبّان في نفس المصب ، وينبعان من نفس المنبع ، وقبل أن أذكرهما مبيناً صدق ما أقول أتمنى لو يقرأ كلامي لأخره ، فنحن أمام قضية خطيرة لا تمثل فقط بتلك الأحداث التي هي نموذج مصغر بقدر ما تنبئ عن تراكمات حدثت خلال ثلاث عقود أو يزيد أصلت لحدوث هوة عقدية وأخلاقية لا يعلم إلا الله إلى ماذا ستوصلنا.

أما الحدث الأول فهو السلفيين والأضرحة ، نحن أمام معضلة كبيرة فالكل يعي أن موضوع الأضرحة الذي يتبناه الصوفية ومن هم على شاكلتهم موضوع شركي تحدث فيه كثير من العلماء الثقات وبينوا حرمته ، ومرجع وصمه بالشركية يأتي من السنة المطهرة في أحاديث كثيرة حثت على طمس وتسوية القبور بالأرض ، وعدم التبرك بولي أو شيخ أو صاحب كرامة مهما بلغ شأنه بين العباد ، لعدم مشروعية ذلك ، ولدخوله في مظنة الشرك بالله خاصة لدى العامة الذين يعتقدون في الولي ويتبركون به وبمقامه في بدعة خارجة عن الإطار الشرعي والفطرة السليمة ، ويغالي الكثير من أهل البدع والصوفية في

هؤلاء الأولياء والمشايخ بدرجات تخرج البعض عن الملة وتضعهم في مصاف المشركين بالله، وقد نادى الكثير من علماء الأمة بإخراج قبور هؤلاء الأولياء من المساجد لحرمة ذلك، بل ونادى البعض بطمس القبر وتسويته بالأرض حتى لا يستشكل على العامة الذين يغالون بغير علم فيمن يعتقدون، ولكن لم يستجب أحد على مر السنين، إما لاعتقادات خاطئة، أو لمصالح تتحقق من وراء إدارة مثل تلك الأماكن وصناديق النذور التي كان يتقاسم ريعها الوزراء مع بعض رجال الدين فيما مضى.

ورغم كل هذا فأنا لست مع من يدعي وصايته على الأمة الآن من بعض السلفيين الجهلاء بالأصول الشرعية التي تراعي في مثل ما نمر به من ظروف، والقاعدة الشهيرة التي تنص على تقديم درء المفاسد على جلب المنافع، فليس من المنطقي ونحن نلملم جراح وطن أثخن على مدار عقود بالكثير من الجروح، وعانى مرارة الظلم، أن تكون أولويات الأمة الآن هي هدم الأضرحة أو تعميم النقاب وإقامة الحدود، وكان أولى بالسلفيين المغالين - ولا أقول السلفيين على إطلاقهم – أن يطالبوا بما يطالبون به الآن في حقب سابقة تفشى فيها الفساد والظلم، أما وأن تأتي المطالب وكأنها ركوب للموجة ودون التحضير والتمهيد لأبناء وبنات الأمة فهم يصيبون الدين في

مقتل وينفرون منه الكثير، وأنا على يقين من أن موضوع هدم الأضرحة سيكون أيسر لو فهم الجميع البعد الديني لما ينادي به هؤلاء، ولو تضافرت قوى الأزهر وعلماء الدين مع الدعاة واتفقوا على قلب رجل واحد بعد أن يتم دراسة الموضوع وتبيان شرعيته.

وأنا هنا أدين بشدة رأي فضيلة المفتي الشيخ على جمعة الذي استهزأ بالسلفيين وسخر منهم في موضوع الأضرحة ، وضرب على وتر حب المصريين لآل البيت في مغالطة يعلم هو مدى سذاجتها ، وهو يقوم بتهييج المصليين على السلفيين بتركيزه على مناداتهم بهدم الأضرحة حتى ولو كانت للحسين أو زينب رضي الله عنهما ، وهم وإن كانوا فعلاً بتلك الأضرحة وهذا شكك فيه كثير لا يبرر أن يحدث ما يحدث من مخالفات شرعية وبدعية وشركية ، بسبب وجود تلك الأضرحة وارتفاعها والاحتفاء بها والتبرك بها، وقد كان أولى بهذا السلف الصالح لو كان هذا يصح لكانوا هم المبادرين بفعل هذا ، أما أن يدعي رجل دين في منصب بحجم المفتي أنه المدافع عن آل البيت وعن الأولياء وهو يدافع عن البدع في المقام الأول ، فهذا لا يعدو أن يكون قتلاً واغتيالاً للسّنة النبوية المشرفة على صاحبها صلوات الله وسلامه ، وقتلاً معنويًا لصاحبها محمد صلى الله عليه وسلم.

أما الموضوع الثاني والذي أفزعني أيضًا فهو ما حدث في مباراة لكرة القدم بين فريقين من بلدين يعتبران من بلدان أمتنا ، التي قال عنها المولى عز وجل كنتم خير أمة أخرجت للناس ، بين أشقاء وأخوة في الدين والدم والعقيدة قال عنهم المصطفى صلى الله عليه وسلم إنهم في مثل توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

أما ما حدث بسبب تفاهة ، ومباراة لا تعدو أن تخرج عن وصف اللعب واللهو ؛ فهو يضرب الأمة في مقتل ويعري ادعاءاتنا كافة بأننا أمة واحدة وأصحاب رسالة ، ما حدث يفصح عن جهل بالدين وإنكار لكل حرف قاله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ما حدث يعرينا ويفضح نفوسنا الضعيفة ويساهم في وئد الدعوة الإسلامية ويفقدنا احترام العالم الذي اكتسبناه بعد طول معاناة حين قلنا للظلم والبغاة كفى ، يفقدنا شهادات قيلت عنا ، هؤلاء هم العرب هؤلاء هم أبناء الإسلام ، أصحاب محمد ، بل إنه وأزعم أنني صادق ؛ قتل لمحمد في صدور الرأي العام العالمي وهم يشاهدون همجية أتباعه ، قتل لسماحة الإسلام الذي أتى به سيد البشرية هو قتل معنوي في الصدور والعقول لكنه أبلغ تأثيراً من القتل الحقيقي.

رمضاننا و رمضانهم و رمضانكو

هل يختلف الثلاثة؟ سؤال يقف بالحلق ونحن نسأله لأنفسنا كل عام ، وتمضي الأيام والشهور ونعاود سؤالنا البسيط الذي يبدو للبعض ساذج، رمضان أليس شهر مثل كل الأشهر يأتي ثم يرحل منتقصًا من أعمارنا مدته كباقي الأيام والأشهر والساعات والثواني ، ظاهريًا نعم هو شهر يتألف من وحدات زمنية ولا يختلف إطلاقًا، لكنا نسمع من يدعي أن الشهر مر بسرعة ومن يدعي أن أيامه ثقيلة مملة خاصة إذا صادفت قيظًا شديدًا مثل هذا العام ومن يعبر الشهر دون أن يلتفت إليه أو إلى خصوصيته.

رمضان مهما حاولنا أن نكتب حوله فلن نأتي بجديد، فهو شهر تكرر على مدار ما يزيد عن ألف وأربعمائة عام وكتب عنه وفيه الكثير والكثير، وإذا أردنا أن نكتب فلن يكون ما نكتب سوى إعادة لما قيل ، لكنا هنا نقول إن رمضان يختلف من شخص لآخر ومن جماعة لأخرى ، فرمضاننا يختلف عن رمضانكوا وعن رمضانهم كما يقول العامة، فمن نحن ومن هم ومن أنتم (عطفًا على صريخ الزعيم الليبي) أراحنا الله من شره بحق هذا الشهر الفضيل.

نحن معظم عباد الله الذين ينتظرون هذا الشهر ليصلحوا من أنفسهم ولو قليلاً ، على اعتبار أنه سوق للخير والأعمال الصالحة ، ونحاول فأحيانا نفلح وكثير ما نخفق لأننا نسينا ولم ندرب أنفسنا طوال أشهر السنة على سلوك الطريق القويم ، وسرنا وراء الهوى وإلهاء إبليس لنا بالأمل في أيام هذا الشهر الفضيل ، ولا نتعلم من تاريخنا معه الذي دومًا ينبئنا بأننا مخطئون، وفي لهاثنا لفعل أي شيء يشعرنا بعدم التقصير نجد الشهر قد ولى ونحن لم نفعل سوى القليل، فنبدأ في تناسي كل شيء والتفكير في رمضان القادم بدلاً من أن نجعل ديدننا عمل الصالحات ليسهل علينا متابعة العمل حين يأتينا رمضان القادم ، فنحن ننسى ونتناسى ونفكر فقط إننا سنعوض في السنة القادمة وكأن رب رمضان ليس هو رب باقي الأشهر.

أما هم فأقصد بهم الفنانون والإعلاميون الذين يكرسون جل وقتهم قبل قدوم الشهر الفضيل في التفكير والترتيب لاقتناص أكبر قدر ممكن من أوقات هذا الشهر الكريم لتضيعها فيما يفيد وفيما لا يفيد ، وإنما فقط ليتسلى الجميع ويتم تغييبه بمواد أشبه بالمخدرات تلغي عقله وتفكيره وتضعه في خانة المتلقي العطش لكل ما يقدم له من غثاء، وخروج عن التقاليد والقيم التي يجب أن تراعى طوال العام ، فإذ بنا نجدها قد أهدرت عن عمد خلال هذا الشهر الفضيل، وفي خضم هجمة الأعمال الشرسة يضيع صوت العقل ويخفت صوت النقد أمام

سيل البرامج الهابطة والمسفة، والدراما التي تتنافس بشراسة على بث سمومها عبر أفكار يتم التسويق لها من قبل صانعي الدراما التلفزيونية لخدمة أغراضهم المستقبلية وهم يستغلون زحمة سوق العرض ليفلتوا بفعلتهم كل عام، ولا يجد ناقد أو صاحب قلم شريف الوقت لينتقد بموضوعية لكثرة الأعمال وضيق الوقت، أما أنا فأرى أنه من الضروري أن يتم محاسبة هؤلاء المفسدين وإيقافهم إذا ثبت تعمدهم، خاصة ونحن نعيش عصر جديد من الحرية والانفتاح على الآخر.

أما أنتم معشر الصائمين فواجبكم أن تقاطعوا أي عمل يشوبه الإسفاف وتنطوي فكرته على بعض دعوى هدم القيم والإباحية والتأسيس لقواعد لا تتفق وأخلاق مجتمعنا، وهذا أضعف الإيمان أن يكون جهادنا بالسلب بالمقاطعة ليعلم هؤلاء أنهم لن يفلحوا بعد اليوم في متابعة دور التغييب العقلي والفكري لأبناء هذه الأمة، وأن ما فات قد فات، ونحن بحاجة لمن يقدم ما يساعد في بناء عقول أبناء هذه الأمة، ويعمل على تقوية إيمانهم ويوحد صفوفهم، وليس ما يسهم في إحداث فرقة أو تغييب للضمير الوطني والفكر الإنتاجي من جديد، وشغل الناس بتوافه الأمور وصراعات شخوص الدراما التي تقدم الوهم والتسلية فقط، في زمن نحتاج فيه كأمة إلى تكاتفنا واستغلال كل وقتنا في دفع عجلة الإنتاج والتقدم لنلحق بباقي الأمم.

بين رمضانين

كنت في العاشرة تقريبًا حين أطل علينا رمضان النصر الذي واكب حرب تحرير سيناء المسماة بنصر أكتوبر ، كم كنت أستشعر يومها الفرحة في عيون من حولي وكم شعرت بقدر اللحمة والترابط بين أبناء وطني وقدر التعاطف والطيبة والتكاتف الذي كان عنوان لتلك المرحلة ، ورغم أن الحرب تسببت في نقص الكثير من المواد الغذائية والأساسية، إلا أنني لم أجد أحد وقتها يشتكي ، بل على العكس وجدت الجميع يعين الجميع والكل يقف بجوار إخوانه، ربما كنت صغير لكني أحسست بهذا جليًا، وحُفر في ذاكرتي جيدًا وتعلمت الكثير من الدروس التي بقيت معي حتى الآن.

ويأتي رمضان هذا العام في ظروف مشابهة، فقد انتصر الشعب في معركة الخلاص من ظلم جلاديه ، الذين استباحوا كل شيء وحرموه من أبسط حقوقه وهو أن يشعر بوطنه أو يفخر ببلده ، وأوصلوه إلى حد أن يهرب إلى أي مكان مهاجر قانوني أو غير قانوني، بل تعدى هذا إلى حد أن يخجل البعض من ذكر جنسيته في بعض الأحيان ، وقد أخبرني بعض من أعرف ممن يعيش بالخارج بهذا بعدما صار الوطن مرتعًا للفساد ، وتابعًا

ذليلاً لا قيمة له أو لصوته.

يتشابه رمضان هذا العام مع رمضان النصر في الكثير، يومها عبرنا قناة السويس وانتصرنا على خوفنا، واليوم عبرنا خوفنا وانتصرنا على أعداء الوطن أيضًا، يومها ظهر بعض المرجفون ممن سكن قلوبهم الخوف ، وبدأوا يحذرون من مغبة الاستمرار في الحرب، خشية تدخل قوى عظمى وقهرنا، وهم لم يدركوا وقتها أن العالم تغير وأن لا صوت يعلوا على صوت الحق وقد كان، فبرغم دعم أمريكا للعدو الإسرائيلي؛ إلا أنها لم تستطع أن تخوض الحرب معها صراحة، خشية ردود الأفعال الدولية وتوسيع نطاق الحرب، واليوم يعوي بعض المتنطعين لوقف المد الثوري الذي بزغ نوره بحجة البناء وعدم تعطيل عجلة الإنتاج، وهم بخبثهم لا يريدوا سوى وقف الثورة لأنها بدأت تؤثر على مكاسبهم ، وهم يقولون قول حق يراد به باطل والله مخزيهم ، فهو من يعلم نواياهم ، وهو وحده القادر على فضحهم.

أقول هذا وكلي يقين لأن هذه الثورة لولا فضل الله سبحانه وتعالى ما كان لها أن تنجح، وقد أجمع كل المفكرين أن ما من أحد كان ليتصور أن تنجح الثورة في تحقيق أهدافها وتتخطى كل طموحات أبناء الشعب وطموحات القائمين بها من شباب الثورة وأبناء الوطن بهذا القدر، وأن تسقط نظام بوليسي عاتي

وتنجح في سجن رموزه كافة في تلك الفترة الوجيزة بمقاييس الثورات، فمن قدر لهذه الثورة أن تنجح وحمى هذا الشعب وهذا الوطن من الانزلاق إلى هاوية التناحر؛ قادر على أن ينشر رحمته ويعز عباده ممن يريدون الخير لهذا الوطن، ويذل كل فاسد يريد أن يعيد العجلة للوراء.

غزل الصائمين

وهل للصائمين غزل أيها الشيخ؟

نعم للصائمين أنواع وأنواع من الغزل؛ فهم يتغزلون في رمضان ويعيشون أصفى أوقات الحب في لياليه التي تفيض بالرحمة والمغفرة، ويسألون مولاهم أن يعتق رقابهم من النار.

غزل الصائمين سمو بالنفس عن الدنيا ، رقةٌ بالنهار وتعبدٌ بالليل، صفاء أرواح تحلق في ظل رحمات تتنزل في أيام وليالي الشهر الفضيل، شحنات ربانية من العزيز الغفار يمتن بها على عباده الصالحين ، وشلالات من الرحمة تتنزل فتغسل قلوبهم وأنفسهم من أدران المعصية ، وتضعهم على أعتاب أبواب التوبة والصراط المستقيم ، يدرك الأتقياء قدر تلك الأيام ويعيشون روعة لياليها ، يغازلون النهار بالصوم والإنفاق ويغازلون الليل بالصلاة والأذكار وتلاوة القرآن ، فهنيئًا لهم بهذا الحب الذي يرفعهم عند ربهم درجات.

تغازلهم المعاصي فيعرضون عنها، وتغازلهم الشهوات فيميلون مبتعدين، وهم على صومهم محافظون وثابتون، يعلمون ألا رقيب عليهم إلا الله، ولا مقدر لتقواهم سواه جل في علاه، فهم يخشون الواحد الأحد الحي القيوم في سرهم وجهرهم،

يخشون ناره وعذابه ويغازلون رحمته وجناته ، يسألونه أن يعاملهم بالرحمة ويشملهم بالمغفرة ، لا أن يعاملهم بعدله وقسطاسه ، فهم يدركون تقصيرهم ويأملون أن يتغمدهم برحمته ويشملهم بعفوه.

وللصائمين حياة يحيونها بنفس روح المحبة والرقي الذي يؤهلهم له الصوم، فهم يمارسون الغزل العفيف كطقس يومي مع شركاء حياتهم ، في سبيل دوام المودة وتفشي الرحمة في حياتهم وحياة من حولهم ، فهم يعيشون العبادة بكل تفاصيلها الدقيقة ويمارسون الغزل بأرقى وأنقى صوره ، ديدنهم في كل هذا التمسك بالشريعة الغراء واتباع سنة نبيهم المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن ، كان يقوم ليله ويصوم نهاره ويخرج للجهاد صائمًا ، وكان كالريح المرسلة في رمضان من كثرة بذله وإنفاقه ، ومع كل هذا كان رفيقًا رقيقًا مع أهل بيته ، فيقبلهم ويغازلهم في نهار رمضان ، فهل بعد كل ما سبق ننكر أن للصائمين غزل؟.

أبو قردان و أخلاقنا

حين كنت أسافر من الإسكندرية إلى القاهرة وأنا طفل؛ كانت عيناي تتعلقان بالحقول الممتدة عبر نافذة القطار، وكنت لا أشعر بالوقت أو المسافة حتى نصل، أما أكثر ما كان يشغلني فهو طيور بيضاء رائعة كانت تنتشر عبر المساحات الخضراء، عرفت من أبي أنها تسمى طيور أبي قردان، وقد حاول أبي أن يشرح لي على قدر فهمي حينها كيف أن هذه الطيور لها فائدة عظيمة في تخليص الأرض من بعض الديدان والحشرات، والمحافظة على الزرع، فزاد حبي لهذه الطيور التي كنت أتمنى أن ألمس أحدها، وظللت أتابع هذه الطيور في رحلاتي، ويوم بعد يوم كان يزداد تعلقي بها.

ومرّت السنوات وبدأت ألاحظ اختفاء تلك الطيور، حتى أصبحت لا أرى ولو طائر واحد على طول المسافة التي يقطعها القطار، وحين سألت أجابني البعض أن المبيدات التي تستخدم في رش الزراعات قد قضت على هذا الطائر، لكنها لم تقضِ على الديدان والحشرات كما كان هو يقوم بدوره فيما سبق!! بل إن الحشرات والديدان طورت وحورت من ذاتها وأصبحت أكثر شراسة وفتكًا بالمحاصيل، وبعد أن كانت الأرض فتية قوية

تُعطي فضلها وتفيض بخيرها أصبحت عاقر، تمنحنا مسخًا بعد مسخ من الزراعات المسرطنة والهجين والمهندسة وراثيًا بهرمونات قاتلة.

أما ما جعلني أتذكر هذا الطائر الجميل؛ فهو رؤيتي لأسراب منه خلال رحلتي من القاهرة إلى الإسكندرية مؤخراً، وقد دهشت لرؤيتها بعدما كانت اختفت كلياً، وحين سألت أحد أصدقائي وهو بيطري ضحك مندهشًا من اهتمامي بهذا الطائر، لكنه أكد لي أنها عائدة وبقوة، وقد أدرك الجميع خطر معالجة الأرض بتلك المبيدات، فتوقفوا عن استخدامها ومن ثم عادت الطيور للظهور من جديد.

وقد تزامن شغفي هذا مع أمر شدني كثيراً ألا وهو عودة الاحتشام للشارع المصري، فبعد عقود من التبرج ومسايرة الموضة الغربية بدأت في السنوات الأخيرة ظاهرة الاحتشام في الملبس، ولن أقول الحجاب، لأنني كنت أرى محجبات سافرات أكثر من غيرهن من غير المحجبات، وليس المقام هنا مقام تفسير، لكنني أقصد الاحتشام بمعناه العام سواء كانت الفتاة أو السيدة محجبة أو غير، الجميع عاد لحرصه على الاحتشام والتستر، وأجمل ما راقني هو تخصيص عربات للنساء في شتى وسائل المواصلات في القاهرة والإسكندرية، مع عدم إلزامهن بالركوب فيها، ولكن من تجد حرج في مزاحمة الرجال فلها ما

تريد عربة خاصة ببنات جنسها.

وقد تملكني تفاؤل وأنا أرى تزامن لبداية عودة أبي قردان برقته وبياض طلعته وبداية عودة الأخلاق إلى المجتمع، وكأننا بدأنا في هدوء ثورة تصحيحية ، فليس عودة أبي قردان إلا علامة على وعي تأصل في النفوس وتطبيق صحيح لنتائج درس تعلمناه، وأيضًا هذا ينطبق على أخلاقياتنا بعد أن تخلينا على جزء كبير منها في سياق ما أطلقنا عليه العولمة ، بدأنا نعود رويدًا لأصولنا، وليست القضية قضية احتشام فقط؛ بل هو مؤشر على عودة الأخلاق بكل ما يتعلق بها من سلوكيات في شتى مناحي الحياة، في الشارع والأماكن العامة والمواصلات، وقد كنت أتخوف من ظاهرة التحرش الجماعي التي طالما ضخمها الإعلام وركز عليها فترة، فإذا بي أفاجأ بشباب وبنات في مقتبل العمر يتحلين بأفضل أخلاق، وتتجلى صور أخلاقهم مع كبار السن، سواء في الشارع أو في وسائل المواصلات المختلفة، في ظاهرة بدأت تعود بنا سنين للوراء، أيام كان للكبير احترامه وتقديره ، وقبل أن تأتي حقبة اندثرت فيها الأخلاق والقيم لصالح أفكار غربية وغريبة، وفتت في عضد قيمنا حتى تصورنا أن المجتمع بتقاليده الموروثة والمتأصلة فينا عبر عصور قد انتهت وباتت من الماضي.

المَضيفة

لم يكن يعنينا ونحن صغار سبب انطلاق صرخات النساء الفزعة على فراق حبيب، أو صدحهن بالزغاريد ابتهاجًا بخبر زفاف أحد شباب العائلة، كل ما كان يعنينا أن المغارة السحرية ستفتح، وأننا سوف ننعم بالعبث ولو لبعض الوقت فيها، أما هذه المغارة فلم تكن سوى حجرة المناسبات التي كانوا يطلقون عليها المضيفة، وكانت تلك الحجرة ملاصقة لدار كبير العائلة وجزء منه، وهي ذات بنيان متفرد بسقفها العالي الذي به فتحة كبيرة عليها زجاج في بعض الأحيان، ومشرعة في كثير من الأحيان لدخول الهواء، ومصاطبها التي كانت تلاصق كل جدرانها من الجهات الأربع ومخزنها الصغير الذي كانت ترص فيه الفرش التي كانت من الحصير البلدي الملون، وإن استبدلت في أيامنا الأخيرة بحصير صناعي من البلاستيك وبعض السجاد المحلي.

كانت تلك المضيفة تغلق شهورًا حتى تفتح أبوابها لحادث جلل، موت شخص أو زفاف آخر، وكانت نسوة العائلة تسارعن إليها بعد أن تفتحها كبيرتهن وتبدأن في إزالة التراب وتنظيفها ورشها بالماء المخلوط بماء الورد، ومسح أرضيتها

ونفض حصائرها ، وفي أحايين غسلها ومن ثم فرش الأرضية وتزيين الأركان في حال كان الحدث زفاف أو كتب كتاب.

أما نحن الصغار فكنا نسارع بالدخول مع أول فوج من النسوة وقبل أن يشرعن في التنظيف، كنا نطارد بعض الطيور الصغيرة من عصافير ويمام يكون قد اتخذ أعشاشه في هذا المكان المهجور شهوراً ، فنمسك بما نستطيع من صغار هذه الطيور التي لا تستطيع الطيران ونجري فرحًا ونحن نلهو ، أما الذين كانوا يكبرونا سناً فقد كانت تستهويهم بعض الخرافات عن سكن الجن لتلك المضيفة ، فكانوا يدخلون وهم يتوجسون خيفة ويزيحون الحصائر بوجل وهم يتوقعون أن تخرج من بين أرتالها جنية أو مارد ممن كانوا يسمعون عنه من خرافات الحكايا في الريف، وقد كان يغذي هذا الهاجس صدى الصوت الذي كان ينبعث حين تكون المضيفة خاوية لارتفاع سقفها وكبر مساحتها.

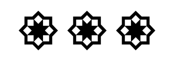
ولا أستطيع نسيان تلك الليلة التي فارق فيها أخو جدي الحياة فقد حزن جدي حزنًا شديدًا، وكانت المرة الأولى التي أراه فيها يبكي ، وقد طلب من أحد أعمامي أن يأخذ المفتاح ويذهب لفتح المضيفة ويرسل نسوة العائلة كالعادة لتنظيفها، وقد كان وقت دخول الليل لذا طلب منه أن يساعدهن في إنارة المكان، وقد تعلقت بذراع عمي ولم يمانع من اصطحابي ، حين أولج

المفتاح في الباب القديم سمعت صريرًا مرعبًا وهو يديره، تشبثت به أكثر، اصطنع ضحكة ثم دلف إلى داخلها متوجسًا، خطى خطوات لجهة القاطع الرئيسي ثم توقف وهو يزدرد ريقه بعد أن شعر بحركة في الظلام، أخذ نفسًا عميقًا، تقدم أكثر، سقطت إحدى الفرش التي كانت مسندة على الحائط، أحدثت صوت تردد صداه لبرهة، وشعرت بعمي وقد تجمد في مكانه، ثم ما لبث أن تابع خطواته وهو يحاول ألا يبدو أمامي بمظهر المرتعب.

مرّت اللحظات ثقيلة وهو يتقدم تجاه القاطع في الظلام وأنا متشبث بذراعه، وقبل أن نصل بخطوة سمعنا وقع خطوات واهنة خلفنا، قبل أن ننصت لصوت لم نتبينه قد أتى من خلفنا، وقتها سمعت دقات قلب عمي وكأنها طبول، أما أنا فقد انقطعت أنفاسي، مد عمي يده إلى القاطع فشمل المكان ضوء ساطع، ثم التفت أنا وهو لنجد جدتي هي من كانت خلفنا تسأل هل من أحد هنا، ابتسمت وهي تستدير عائدة وعصاها التي تستند عليها بيدها، أما أنا وعمي فقد غرقنا في في حالة من الضحك الهستيري، خاصة حين عم المكان ظلام دامس من جديد بعدما فصل القاطع من تلقاء نفسه.

خرج عمي فأحضر شمعة وأنا ممسك بيده ملاصق لجسده، اقترب بهدوء من القاطع في محاولة لإصلاح الخلل وهو يحاول

ألا تنطفئ الشمعة، على بعد خطوة من القاطع انطلق من بين الفرش المسندة شيء مرق بين أرجلنا كأنه سهم ، اختلت الشمعة بيد عمي وسقطت ليعم المكان الظلام من جديد ، انحنى عمي ليلتقط الشمعة ويحاول إشعالها من جديد ، لم يجدها ، أشعل عود ثقاب ، تسمرنا في مكاننا ونحن نشاهد عينين تلمعان ، تبينا أنهما لوجه قطة غاضبة قرب الحائط ، التقط عمي الشمعة أوقدها واقترب قليلاً من القاطع وهو يلتفت من آن لآخر للقطة الواقفة في تحفز ، أمسك بالقاطع ونظفه ثم أعاده فعم النور المكان وسمعنا مواء ضعيف يخرج من خلف الفرش، أزاح عمي الفرش فوجدنا أربع قطط وليدة، لم تكد عيونها تتفتح ، بعد التفت عمي للقطة ثم انحنى ليلتقط القطط فقفزت فوق ظهره ناشبة مخالبها في ردائه ، استقام واقفًا وقد شمله الفزع ، وقف متحيراً للحظة قبل أن تحضر جدتي من جديد بصحبة النسوة ، تقدمت إحداهن فحملت القطة بيد وانثنت تحمل صغارها فلم تفزع، خرجت من الباب وسط دهشتي ودهشة عمي وغادرنا ونحن نبتسم بعدما تعلمت في تلك الليلة أكثر من درس.



الفهرس

١. ممارسة الحب عبر الكتابة ٩
٢. رقة وحنان وشقاوة ١٢
٣. جوز الاتنين ١٥
٤. عايزة أتجوز ٢١
٥. أريد زوجة ٢٦
٦. رسالة امرأة مهمومة ٢٩
٧. امرأة من هناك ٣٣
٨. كل النساء أنتِ ٣٦
٩. لغز الأنثى! ٣٩
١٠. عطش الجسد ٤٢
١١. وشوشات أنثى ٤٥
١٢. كيف تخسرين زوجك؟ ٤٧
١٣. أنت لا تحبين زوجك ٥٢
١٤. بعثرة المشاعر ٥٥
١٥. إلى جسدك أكتب ٥٨
١٦. امسك يدي ، ضُمني ٦١

١٧. أربع نساء ٦٣
١٨. هكذا تحدث شهريار ٦٦
١٩. شهرزاد أميرة ٧١
٢٠. الحب هو ٧٢
٢١. العُـــرِّي ٧٤
٢٢. الـــمـــلل ٧٩
٢٣. الحُـــزن ٨٣
٢٤. الإيثـــار ٨٧
٢٥. الضمير ٨٩
٢٦. الشجـــار ٩٣
٢٧. الصمت ٩٥
٢٨. الصواب ٩٧
٢٩. الرضـــــا ١٠١
٣٠. الحُـــب ١٠٤
٣١. الولادة ١٠٧
٣٢. المطر و الشجن ١٠٩
٣٣. الأنانية أروع إحساس ١١٢
٣٤. همس ذاتي ١١٥

٣٥. همَّت به وهمَّ بها ١١٦
٣٦. الهم واختلاف الطبائع ١١٨
٣٧. الوجع والقدرة على المجابهة ١٢٢
٣٨. كم من الوقت تحتاجين لتصبحي جينفر؟ ١٢٧
٣٩. ممنوع لأقل من ١٨ سنة ١٣٠
٤٠. ماذا لو أجبرك زوجك على الإفطار؟ ١٣٣
٤١. واحد منهم ١٣٥
٤٢. البركة المفقودة ١٤٠
٤٣. فن المعاملات ١٤٣
٤٤. القنوت و القنوط ١٤٥
٤٥. هل فكرت كيف ستلقى الله؟ ١٤٧
٤٦. هل فكرتم في الانتحار؟ ١٤٩
٤٧. قتل محمد صلى الله عليه وسلم ١٥٢
٤٨. رمضاننا ورمضانهم ورمضانكو ١٥٦
٤٩. بين رمضانين ١٥٩
٥٠. غزل الصائمين ١٦٢
٥١. أبو قردان ١٦٤
٥٢. المضيفة ١٦٧

المؤلف في سطور

- كاتب وأديب مصري من مواليد الإسكندرية
- نشرت له العديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية، منها: الجمهورية المصرية ، شباب مصر ، اليوم السابع ، الحياة اللندنية ، الرياض السعودية ، عكاظ السعودية ، الشرق القطرية ، الراية القطرية.
- يكتب في العديد من المنتديات العربية
- الإصدارات:
  1. ضحكات دامعة : مجموعة قصصية
  2. القطار والثوب الأزرق : مجموعة قصصية
  3. السماء تلامس البحر : مجموعة قصصية
  4. قشطة : مجموعة قصصية
  5. فرار أنثى : مجموعة شعرية
  6. أحبك ولن أكتفي : رواية
  7. باكوس : رواية
  8. ولع اللمبة الحمرا : مقالات
  9. القاعدة بالمشاريب : مقالات
  10. كله تمام يا ريس : مقالات
  11. ممارسة الحب عبر الكتابة : مقالات

- البريد الإلكتروني : ash.nabawy@gmail.com



(+2) 02 27238004 / (+2) 01288890065

www.shams-group.net